

## سِمَاطُ أَوْ ضِيَاْفَةُ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِي ٦٥٨-٩٢٣هـ / ١٢٦٠-١٥١٧م

محمد سالم بكر باعامر

قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة الملك عبدالعزيز بجدة - المملكة العربية السعودية

المستخلص. مدينة الخليل عريقة في إسلاميتها وعروبيتها، فيها بشر واستقر أول المسلمين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهذا ما أكدته سبحانه وتعالى بقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له ۝ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢٣﴾ [سورة الأنعام آية ١٦٢-١٦٣].

تتناول هذه الدراسة موضوع سِمَاط أَوْ ضِيَاْفَةُ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي الْعَصْرِ الْمَمْلُوكِي ٦٥٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٦٠ - ١٥١٧م والمقصود بسِمَاط الخليل كمصطلح الطعام الذي يطبخ ويوزع على المجاورين والواردين، أما السِمَاط في اللغة فيعرف بسِمَاط القوم: صفهم، ويقال: قام القوم حوله سِمَاطين أي صفين، وكل صف من الرجال سِمَاط.

ويحتوي هذا البحث على مستخلص ومقدمة وتمهيد والتعريف بمدينة الخليل من حيث اللفظ والموقع والجامع الإبراهيمي والتعريف بالسماط لغة والمقصود بسماط الخليل ووظائف السماط وجامع الخليل وزوار السماط ومكان السِماط وقدور السماط وأقوال الرحالة والجغرافيين المسلمين ورعاية سلاطين المماليك والجمع بين قدسيته وقدسية القدس وتحقيق الأمن والأمان ورفع المظالم وربط الخليل مباشرة بالقاهرة وأوقاف السماط وجامع الخليل وخاتمة البحث والحواشي والتعليقات ومستخلص باللغة الإنجليزية.

### المقدمة

إذا كانت فلسطين تحمل بصمات العرب حضارة وثقافة وسكاناً، فإن مدينة الخليل تعكس كل ذلك بنفس القوة والوضوح. وإذا كنا قد سمعنا منذ فترة ليست ببعيدة إدعاءات باطلّة فيها من السفه أكثر من السخف، فهي إدعاءات إسرائيلية ومحاولات مستمرة لتزوير ثوابت الجغرافيا، وحقائق التاريخ دون خجل أو حياء، ذلك بأن القدس والخليل لم تكونا في يوم عربية ولن تكونا.

ولأن فلسطين تتعرض لتشويه تاريخها بل وتزويره جاء اهتمامنا منصبا على جانب حضاري يبرز مدى ما وصل إليه أبناء هذه الحضارة العربية من رقي وتقدم، ألا وهو موضوع سِماط الخليل عليه الصلاة والسلام، في فترة من أهم فترات ازدهار التاريخ الإسلامي، وهي فترة الحكم المملوكي ٦٥٨-٩٢٣هـ/ ١٢٦٠-١٥١٧م لمدينة الخليل.

وبإبرازنا لدور سلطنة المماليك ممثلة في الظاهر بيبرس البندقداري ٦٥٨-٦٧٦هـ / ١٢٦٠-١٢٧٧م المؤسس الحقيقي لهذه الدولة في إعادة إحياء نظام سِماط الخليل، وتوفير الموارد اللازمة له في عهده وعهد من خلفه من السلاطين وهو ما سوف نذكره تحت عنوان رعاية سلاطين المماليك، وإثبات أن دولة

سلاطين المماليك، كانت إفراراً طبيعياً لما ألم بالعالم الإسلامي من محن وخطوب ممثلة في الوجود الصليبي من جهة، بالإضافة إلى غزوات المغول للعالم العربي والإسلامي وبلد الخليل من جهة أخرى. وإبراز سياسة المماليك التي استفادت منها مدينة الخليل، والتي تمثلت في ظهور المماليك بمظهر القوة الضاربة المدافعة عن الإسلام والمسلمين، وظهر سمّاط الخليل كمؤسسة اقتصادية اجتماعية خيرية من أكبر المؤسسات التي عرفها العالم الإسلامي.

ويكفيها فخرًا دوام هذا السّماط بعد إحيائه في دولة سلاطين المماليك، والذي يقول عنه أحد أبنائها في فترة لاحقة للعصر المملوكي: "أما بيان حال السّماط الكريم الذي هو من فيض فضل الله ممدود، وبأمر الله موجود من عهد إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام ما سمعنا أنه قطع، ولا منع، بل إن الملوك والأكابر تدعو ويدعى لها بإدامة السّماط كسمّاط الخليل، كما هو معلوم في المشارق والمغارب من استمراره ووجوده وعدم انقطاعه ووروده..."<sup>(١)</sup>.

هذا إلى جانب خلو المكتبة العربية من عمل علمي متكامل ومتخصص في هذا الموضوع في مجال التاريخ الإسلامي الوسيط، إلا بعض الدراسات غير المستفيضة والتي اقتصرّت على جزئية معينة في تاريخ مدينة بلد الخليل؛ منها بحث أحمد رمضان عن الخليل، وهو بحث في أعمال ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الأول، دار المعارف بالقاهرة، عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، وهو بحث في ثلاث عشرة صفحة، انصبت على تعريف موجز لمدينة الخليل والنصوص التاريخية التي تؤكد على إقطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بعض القرى للصحابي الجليل تميم الداري<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه، والتطور التاريخي لمبنى الحرم وبعض الأوقاف عليه. ولقد استندت هذه الدراسة على بعض المصادر العربية المتأخرة كما أنها لم تتعرض البتة للجوانب الاقتصادية والحضارية في الخليل.

ومنها بحث على أحمد محمد السيد المسمى الخليل في عصر الحروب الصليبية، وهو رسالة دكتوراه تم نشرها في كتاب تحت اسم الخليل والحرم الإبراهيمي في عصر الحروب الصليبية، تناول فيه أحوال بلاد الخليل حتى غزو الصليبيين لبلاد الشام، وتأسيس إقطاعية الخليل الصليبية، والدور العسكري لها، وضيافة الخليل ويتحدث عن المظاهر الحضارية في بلاد الخليل تحت الحكم الصليبي أي في الفترة من ٤٩١-٦٩٠هـ/١٠٩٨-١٢٩١م وتحول الجامع إلى كنيسة كاتدرائية باسم سانت إبراهيم بما يؤكد انقطاع هذا السماط الإسلامي الأصل. وهو ما سوف نثبته تحت عنوان أقوال الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين.

وقد فضل الباحث اتخاذ لفظ الجامع الإبراهيمي أو الجامع الخليلي بدلاً عن الحرم الإبراهيمي أو المسجد الإبراهيمي في كافة محتويات البحث، وذلك لأن لفظ الحرم لا يطلق إلا على البيت الحرام وحرم المسجد النبوي، وحرم المسجد الأقصى، والله أعلم بالصواب.

### تمهيد

مدينة الخليل ليست مجرد مدينة من المدن التي حفل بها التاريخ والتي قدر لها أن تلعب على مدى فترة محدودة من الزمن دوراً حضارياً، وإنما اختصت في التاريخ بأنها المدينة العتيقة العريقة، والتي يرجع تاريخها إلى أقدم العصور لارتباطها بالأديان وقصص الأنبياء مما جعل منها مركزاً حضارياً عريقاً على مر الزمن والعصور. إنها مدينة الرسل، وملقى الأنبياء، ومجمع الأديان وكل ما تشتمل عليه الأديان السماوية من مفاهيم حضارية وتيارات روحية وفكرية واجتماعية واقتصادية.

ومدينة الخليل التي تقع جنوبي بيت المقدس، وعلى بعد مسيرة يوم منها<sup>(٣)</sup> عريقة في إسلاميتها وعروبته، ففيها بُشِّرَ واستقر أول المسلمين إبراهيم عليه

الصلاة والسلام، وهذا ما أكدته سبحانه وتعالى بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لا شريك له ۖ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ويعتبر الجامع الإبراهيمي من أقدس الجوامع الإسلامية. فالزوار يتجهون لزيارته بعد قضائهم مناسك الحج وبعد زيارتهم للحرم القدسي الشريف المجاور. ومنذ حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد نزل هذه الديار أي ديار الخليل الكنعانيون، وإليهم تنسب معظم مدن وقرى بلاد خليل الله<sup>(٥)</sup>. وفي أثناء استقرار الكنعانيين في بلاد الخليل نزلها سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام منذ نحو أكثر من خمسة آلاف سنة، وقد كان مقدراً لها أن تضم رفاقته عليه الصلاة والسلام، ورفاة غيره من أبناء عائلته، ويقبورهم أصبحت مدينة الخليل المدينة المقدسة الثانية في فلسطين<sup>(٦)</sup>. "ومكانة بلاد الخليل تعود إلى أنها، فضلاً عن ضمها لقبور الأنبياء إبراهيم وإسحق ويعقوب ويوسف ولوط ويونس، تضم الكثير من رفات الصحابة وفي مقدمتهم الذين استشهدوا في معركة أجنادين<sup>(٧)</sup> سنة ١٣ هـ / ٦٣٤ م وغيرهم من التابعين والأولياء رضوان الله عليهم أجمعين"<sup>(٨)</sup>.

ومما أضاف لبلاد الخليل مزيداً من المكانة، أنها أكبر وأول الإقطاعات الإسلامية التي منحها الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابي الجليل تميم الداري. وإلى ذريته من بعده<sup>(٩)</sup> في وثيقة مشهورة. هذه الوثيقة تلقي الضوء على كثير من الحقائق الأساسية الخاصة بحقوق المسلمين في تلك البلاد، وتقدم شواهد لا تنكر على أملاكهم وأوقافهم<sup>(١٠)</sup>.

وتواترت الأخبار بقصة الإقطاع النبوي لتميم الداري ورهطه، وروى نص الإقطاع عدد من المؤرخين والمحدثين ورواة السيرة النبوية في مصنفاتهم منذ البدايات الأولى، وتتابع على دراسة نصوص الإقطاع عدد من مؤرخي القرون المتأخرة ممن جمعوا بين النقل والمشاهدة والرحلة فأثبتوا نص الإقطاع من مشاهدتهم العينية والتقوا بأعقاب تميم الداري، واطلعوا على ما في حوزتهم من

الحجج التي تثبت حقهم الموروث في الإقطاع، وتتقارب الروايات كلها في المضمون والشكل مع شيء من الاختلاف، ومن تلك الروايات التي تتحدث عن وقف الرسول لتميم الداري رواية: القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم المتوفى سنة ١٨٢هـ/٧٩٨م، التي تعد من أقدم الروايات التي أثبتت نص الإقطاع حيث قال: " فقام تميم الداري - وهو تميم بن أوس رجل من لحم فقال: يا رسول الله إن لي جيرة من الروم بفلسطين لهم قرية يقال لها جيرون<sup>(١١)</sup>، وأخرى يقال لها عينون<sup>(١٢)</sup>. فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي فقال: هما لك. قال: فاكتب لي بذلك كتابًا، قال: فكتب له: " بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الداري أن له قرية جيرون وبيت عينون قريتهما كلهما وسهلتهما وجبلهما وماؤهما وحرثهما وأنباطهما وبقرهما، ولعقبه من بعده، لا يحاقه فيهما أحد، ولا يلجها عليهما أحد بظلم، فمن ظلم واحدًا منهم شيئًا فإن عليه لعنة الله"<sup>(١٣)</sup>.

وذكر أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى ٢٢٤هـ / ٨٣٨م قصة الإقطاع بصور متعددة منها: أن تميمًا قال: يا رسول الله إن الله مظهرك على الأرض كلها فهب لي قريتي من بيت لحم، قال: هي لك، وكتب له بها، فلما استخلف عمر وظهر على الشام جاء تميم الداري بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال عمر: أنا شاهد ذلك فأعطاه إياه"<sup>(١٤)</sup>.

وجاءت رواية ابن سعد المتوفى سنة ٢٣٠هـ/٨٤٤م كرواية سابقه إلا أنه اختلف عنه في قوله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب الإقطاع لنعيم بن أوس أخو تميم الداري<sup>(١٥)</sup>، واستمر إقطاع تميم الداري بيد ذريته يأكلونه وهم مقيمون ببلاد سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام وهم طائفة كثيرة يقال لهم الدارية<sup>(١٦)</sup>.

كما تتبغي الإشارة إلى أن بلاد الخليل تشمل حيزًا أساسيًا من الأرض التي يعتبرها أبناء الديانات السماوية الثلاثة أراضي مقدسة باركها الله تعالى. فاليهود

يذهبون إليها من قبيل التبرك بالأنبياء الراقدين فيها والأماكن ذات الذكرى الطيبة لديهم. ويذهب إليها المسيحيون لارتباطها بقصص وأساطير اصطبغت بالدين، منها ما تردد عن دفن آدم عليه السلام فيها. أما عن مكانة الخليل عند المسلمين فهي عظيمة، فهي من صميم الأرض المباركة، وبها قبور أبي الأنبياء إبراهيم وذريته الكريمة عليهم جميعا السلام<sup>(١٧)</sup>. وبها الجامع الإبراهيمي، وكونه أحد الأماكن التي مر بها الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في رحلة الإسراء والمعراج<sup>(١٨)</sup>.

وبعودة مدينة الخليل إلى الحظيرة الإسلامية عقب فتح صلاح الدين الأيوبي (٥٨٧هـ / ١١٩١م) لها بعد فتح القدس عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م، وبتوقيع معاهدة الرملة<sup>(١٩)</sup> بين السلطان صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد عام ٥٨٨هـ / ١١٩١م ساد مدينة الخليل نوع من الاستقرار النسبي، لكن هذا الاستقرار لم يتم له الدوام في عهد خلفاء صلاح الدين من البيت الأيوبي، مما ترتب عليه نتائج خطيرة بالنسبة لمدينتي القدس والخليل بحيث غدتا كالكرة تتلاقفها أيدي المسلمين تارة، وأيدي الصليبيين تارة أخرى. مثال ذلك ما حدث من استرداد الصليبيين لها عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م في عهد الملك الكامل (٦٣٥هـ / ١٢٣٨م) ابن الملك العادل الأيوبي صاحب مصر "قامت القيامة في جميع بلاد المسلمين، واشتدت العظائم بسببها وأقيمت المآتم"، وحتى لو كان ذلك قاصراً على مدينة القدس وحدها، فإن وجود الصليبيين في القدس وعلى مسيرة يوم واحد من مدينة الخليل، فقد كان ذلك كفيلاً باضطراب أحوالها<sup>(٢٠)</sup>.

ليس هذا فحسب، بل تعرضت بلاد الشام لخطر الغزو المغولي<sup>(٢١)</sup>. ومنها مدينة الخليل التي استولى عليها المغول عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، ولكن بيبيرس أخرجهم منها في العام نفسه، وأكد الدور الذي اضطلعت به دولة سلاطين المماليك كقوة ضاربة مدافعة عن العالم الإسلامي.

ومهما يكن من أمر فإن ظهور المماليك على مسرح الأحداث السياسية في تلك الفترة، وما ترتب عليه من قيام دولتهم بالدفاع عن الكيان الإسلامي ضد خطر المغول، وطردهم من المدينة عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، وبعد موقعة عين جالوت وحتى تم طرد الفرنج من بلاد الشام عام ٦٩١هـ / ١٢٩٠م بعد معركة عكا<sup>(٢٢)</sup> الشهيرة على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون (ت ٦٩٣هـ / ١٢٩٣م)، فتمتعت مدينة الخليل بفترة من الأمن والاستقرار وهو ما لم يتوفر لها من قبل<sup>(٢٣)</sup>.

وهكذا كان دخولها تحت حكم دولة سلاطين المماليك بشقيه عاملاً مؤثراً في أحوالها واستقرارها، وبما يعد مرحلة جديدة في حياتها وحياة شعبها، نعمت فيها بالأمن والاستقرار بعد عودتها إلى أحضان الدولة العربية والإسلامية بعد أن عاشت عدة عقود من الزمان إما خاضعة لأحد الخطرين ونقصد بهما الخطر المغولي والخطر الفرنجي، أو مهددة من قيام أحدهما وعلى مقربة منها<sup>(٢٤)</sup>.

ومن المعروف أن دولة سلاطين المماليك في مصر قامت عام ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م، إلا أن بلاد الشام بوجه عام وبلاد الخليل بوجه خاص قد دخلت في سلطنة المماليك أيام السلطان المظفر سيف الدين قطز عقب موقعة عين جالوت عام ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، وكان الفضل في تحرير بلاد الخليل من آثار التتار راجعاً إلى الأمير ركن الدين بيبرس البندقداري الذي تمكن من ضمها إلى أحضان الدولة الإسلامية<sup>(٢٥)</sup>.

### التعريف بمدينة الخليل من حيث اللفظ

سميت مدينة الخليل بهذا الاسم نسبة إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام الملقب خليل الرحمن بعد أن وطأت أقدامه عليه السلام أرض الخليل منذ خمسة آلاف وخمس مئة عام<sup>(٢٦)</sup>، ونزلها العرب الكنعانيون عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد تقريباً وبنوا معظم معالمها الأثرية القديمة<sup>(٢٧)</sup>، وقد عرفت الخليل منذ القدم بأسماء مختلفة إذ دُعيت في الأصل قرية أربع (أي المدينة الرباعية) نسبة إلى مؤسسها ومنشئها



أربع العربي الكنعاني المنتمي إلى قبيلة العنقابين التي كانت منازلها على الجهات الممتدة بين الخليل والقدس<sup>(٢٨)</sup>، وتشير كلمة أربع إلى عدد الأنبياء الذين دفنوا بها وهم آدم، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام<sup>(٢٩)</sup>.

وذكر بعض المؤرخين الغربيين أن ذلك المسمى ارتبط بالقرى الأربع التي تألفت منها مدينة الخليل<sup>(٣٠)</sup> وهي حبرون<sup>(٣١)</sup>، والمرطوم<sup>(٣٢)</sup>، وبيت عينون، وبيت إبراهيم<sup>(٣٣)</sup>، ويوجد العديد من الأسماء والألقاب للمدينة من بينها مدينة خليل الرحمن، ومدينة إبراهيم، ومدينة الكروم، ومدينة العنب "وادي البركة"، ووادي البكاء<sup>(٣٤)</sup>، ولم تذكر المصادر العربية الأسماء الأربعة مجتمعة إذ اكتفى ابن سعد بالإشارة إلى اسمي: حبرى، وبيت عينون<sup>(٣٥)</sup>، وأضاف البلازري المتوفي سنة (٢٧٩هـ / ٨٩٢م) إليها بلدة مسجد إبراهيم<sup>(٣٦)</sup>، وذكر الرحالة ناصري خسرو قرية مرطوم<sup>(٣٧)</sup>.

وفي زمن العصور الوسطى إبان عصر الحروب الصليبية استخدم المعاصرون من الأوروبيين مسمى القديس إبراهيم أو سانت إبراهيم مع الاحتفاظ باستخدام مسمى حبرون، وظل مسمى سانت إبراهيم هو المسمى اللاتيني الغالب خلال فترة الحروب الصليبية<sup>(٣٨)</sup>.

كذلك استخدم المؤرخون الرحالة الصليبيون مسمى سانت إبراهيم وحبرون معاً للإشارة إلى مدينة الخليل<sup>(٣٩)</sup>.

والواقع أن اسم حبرون قد أخذ من لفظة حبير عند العبرانيين التي تعني الصديق الحميم أو الخليل نسبة إلى النبي إبراهيم عليه السلام، وقد استخدم هذا الاسم المؤرخون القدامى ومؤرخو العصور الوسطى من الأوروبيين بشكل خاص ثم غلب على سائر الأسماء بعد القرن الرابع الهجري بين معظم المؤرخين والرحالة العرب والمسلمين هو بلد سيدنا الخليل أو بلاد الخليل عليه السلام، واستقر المسمى أخيراً على اسم مدينة الخليل<sup>(٤٠)</sup>.

## موقع مدينة الخليل

تقع في الجنوب الغربي لبית المقدس وعلى بعد مسيرة يوم منها، وحينما أقدم المسلمون على تقسيم بلاد الشام إلى تقسيمات إدارية وظهر جند فلسطين ضمت الأراضي الممتدة من جنوبي القدس شمالاً إلى بيت جبرين<sup>(٤١)</sup> جنوباً حتى البحر الميت شرقاً مارة إلى كورة بيت جبرين وأخرى إلى القدس وتشكل تلك المساحة غالبية إقليم الخليل كتنظيم جغرافي<sup>(٤٢)</sup>.

وقد ترتب على موقع مدينة الخليل وارتفاعها الشاهق وكبر مساحتها الشاسعة من الأراضي المحيطة بها قياساً بمساحة أرض فلسطين المحدودة أصلاً ما جعلها تشرف على الطرق المحيطة، والتي ستمر بأواسط البلاد رابطة الديار الشامية بالبلاد المصرية مارة بسيناء<sup>(٤٣)</sup>.

كذلك كانت مدينة الخليل تتصل مع شرقي الأردن عن طريق الكرمل عين جدي - مخاضات البحر الميت كل ذلك جعل المدينة مركزاً مهماً للتجارة بينها وبين الصحراء والقرى والمدن المجاورة، علاوة على إشرافها على القوافل القديمة التي كانت تجتاز النقب قادمة من البحر الأحمر وخليج العقبة متجهة إلى موانئ البحر المتوسط لخدمة تجارة الشرق الأقصى، وأن طرق جنوبي فلسطين قد انتعشت بشكل ملحوظ بداية من القرن العاشر الميلادي والرابع الهجري مع انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر<sup>(٤٤)</sup>.

## الجامع الإبراهيمي

يعد الجامع الإبراهيمي من أبرز ما تتميز به مدينة الخليل عليه السلام، والتي اعتبرها معتنقو الديانات السماوية الثلاثة أرض مقدسة باركها الله سبحانه وتعالى، وأن بها جثمان سيدنا إبراهيم الخليل وذريتهم عليهم السلام وجميع مرقد الأنبياء عليهم السلام وزوجاتهم واقعة في غار سفلي للجامع، وما الأطرحة العليا إلا إشارات لها<sup>(٤٥)</sup>.

وللخليل شهرة واسعة بجامعها الذي يأتي في الأهمية وحب الزائرين له بعد الحرم القدسي الشريف، وإليه يأتي الزوار من جميع أنحاء العالم لزيارته بعد قضائهم لمناسك الحج وبعد زيارتهم للحرم القدسي الشريف<sup>(٤٦)</sup>.

ويجدر بنا أن نشير أن سليمان عليه السلام هو الذي بنى الحير الذي على قبر الخليل بوحى من الله تعالى وبناه على بقعة من بقاع حبرون<sup>(٤٧)</sup>.

وبنى سليمان عليه السلام أيضاً السور السليمانى وهو المحيط بقبر سيدنا إبراهيم عليه السلام وقد صار مسجداً وثبت له أحكام المساجد من جواز الاعتكاف فيه وتحريم المكث فيه على الحائض والجنب ولا يقال له مقبرة، والراجح أن السور الضخم الذي يحيط بالجامع الإبراهيمي اليوم والذي يعد من أروع الآثار الفلسطينية هو من بقايا بناء أقامه هيرودوس الذي ولد المسيح عليه السلام في آخر أيام حكمه<sup>(٤٨)</sup>.

وفي عهد الإمبراطور الرومانى جستنيان ٥٢٧ - ٧٦٥م أعيد مبنى الجامع كي يصبح كنيسة، وحينما غزا الفرس فلسطين عام ٦١٤م قاموا بتخريبها وبقيت كذلك حتى الفتح الإسلامى<sup>(٤٩)</sup>.

ويعد الجامع الإبراهيمي من أهم المعالم العمرانية في الخليل حيث وصف بالقوة والفخامة والبهاء كما شهد تطورات على مر العصور وهو يشبه في بنائه الحرم الشريف في بيت المقدس<sup>(٥٠)</sup>.

وقد ورد وصف الجامع الإبراهيمي عند عدد من المؤرخين القدامى والرحالة والجغرافيين، ويعد ما ذكره ناصري خسرو المتوفى ٤٣٨هـ / ١٠٤٧م أقدم وصف عثر عليه وهو وصف شامل لهذا الجامع المبارك "والمشهد يتكون من بناء ذي أربع حوائط من الحجر المصقول، طوله ثمانون زراعاً، وعرضه أربعون، وارتفاعه عشرون، وثخانة حوائطه زراعان، وبه مقصورة ومحراب في عرض البناء وبالمقصورة محاريب جميلة بها قبران رأسهما للقبلة وكلاهما من الحجر المصقول

بارتفاع قامة الرجل، الأيمن قبر إسحاق بن إبراهيم، والآخر قبر زوجته وبينهما عشرة أزرع. وأرض هذا المسجد وجدرانه مزينة بالسجاجيد القيمة والحصر المغربية التي تفوق الديباج حسناً وقد رأيت هناك حصيرة صلاة، قيل أرسلها أمير الجيوش وهو تابع لسلطان مصر، وقد اشترت من مصر بثلاثين ديناراً من الذهب المغربي، ولو كانت من الديباج الرومي لما بلغت هذا الثمن، ولم أر مثلاً في مكان قط حين يخرج السائر من المقصورة إلى وسط ساحة المشهد، يجد مشهدين أمام القبلة: الأيمن به قبر إبراهيم الخليل، وهو مشهد كبير، ومن داخله مسجد آخر لا يستطيع الطواف حوله، ولكن له أربع نوافذ يرى منها فيراه الزائرون وهم يطوفون حول المشهد الكبير، وقد كسيت أرضه وجدرانه ببسط من الديباج، والقبر من الحجر، وارتفاعه ثلاث أزرع، وعلق بها كثير من القنادل، والمصابيح الفضية، والمشهد الثاني الذي على يسار القبلة به قبر سارة زوج إبراهيم وبين القبرين ممر عليه بابهما وهو كالدهليز وبه كثير من القنادل والمسارج، وبعد هذين المشهدين قبرين متجاورين الأول: قبر الخليل يعقوب والأيسر: قبر زوجته وبعدهما المنازل التي اتخذها إبراهيم لضيافة زائريه وبه ستة قبور.

وخارج المشهد منحدر به قبر يوسف بن يعقوب وهو من الحجر وعليه قبة جميلة. وعلى جانب الصحراء بين قبر يوسف ومشهد الخليل، قرافة (مقبرة) كبيرة يدفن بها الموتى من جهات عديدة. وعلى سطح المقصورة في المشهد حجرات للضيوف الوافدين. وقد وقف عليه أوقاف كثيرة من القرى ومستغلات بيت المقدس، ويقال أنه لم يكن لهذا المشهد باب وكان دخوله مستحيلاً بل كان الناس يزورنه من الإيوان في الخارج. فلما جلس المهدي الفاطمي على عرش مصر أمر بفتح باب فيه، وزينه وفرشه بالسجاجيد وأدخل على عمارته إصلاحات كثيرة، وباب المسجد على ارتفاع أربعة أزرع فوق الأرض، وعلى جانب درجات من الحجر، فيصعد إليه من جانب ويكون النزول من الجانب الثاني. ووضع هناك باب صفيين من الحديد<sup>(٥١)</sup>.

### التعريف بالسِّمَاطِ لغةً

السِّمَاطُ: بكسر السين الصف، يقال مشى بين سِماطين من الجنود وغيرهم، وهم سِماط واحد، أي نظم واحد، والسِّمَاط أيضاً ما يمد ليوضع عليه الطعام في المآدب ونحوها، والجانب يقال مشى على سِماط الطريق أو النهر، ومن الوادي ونحوه ما بين صدره ومنتهاه، والجمع سِماط وأسمطة، والسماطان الصفان من الناس<sup>(٥٢)</sup>.

### المقصود بسِماط الخليل

ورد في كتاب الله عز وجل العديد من الآيات القرآنية الكريمة التي تبين كرم سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام لضييفه كقوله تعالى: "هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون"<sup>(٥٣)</sup>.

وأخرج البيهقي عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل: لِمَ اتخذ الله إبراهيم خليلاً. قال: لأطعمه الطعام يا محمد<sup>(٥٤)</sup>، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: أن الله عز وجل بعث جبريل إلى إبراهيم أني لم اتخذك خليلاً مع أنك أعبد عبادي لي ولكني اطلعت على قلوب الآدميين فلم أجد قلباً أسخى من قلبك فاتخذتك خليلاً<sup>(٥٥)</sup>.

كان إبراهيم عليه السلام إذا أراد أن يأكل خرج ميلاً أو ميلين يلتمس من يأكل معه، وكان يكنى أبا الضيفان، وروي أن إبراهيم عليه السلام لما قرب العجل إلى الضيوف ورأي أيديهم لا تصل إليه قال: لِمَ لا تأكلون؟ قالوا: لا نأكل طعاماً إلا بثمنه قال: أو ليس معكم ثمنه؟ قالوا: أنى لنا ثمنه؟ قال: تسمون الله تبارك وتعالى إذا أكلتم وتحمدونه إذا فرغتم. قالوا: سبحان الله، لو كان ينبغي لله أن يتخذ

خليلاً من خلقه لاتخذك يا إبراهيم خليلاً<sup>(٥٦)</sup>، ووسع الله على إبراهيم الخليل عليه السلام في المال والخدم فاتخذ بيتاً لضيافته وجعل له بابين يدخل الغريب من أحدهما ويخرج من الآخر، ووضع في ذلك البيت كسوة للشتاء وكسوة للصيف، ومائدة منصوبة عليها طعام فيأكل الضيف ويلبس إن كان عرياناً.

والمقصود بسماط الخليل كمصطلح: الطعام الذي يطبخ ويوزع على المجاورين والواردين، ويعرف في زمن مجير الدين الحنبلي - أي أوائل القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي، بشورية سيدنا إبراهيم<sup>(٥٧)</sup>، وكان القائمون على الضيافة لا يفرقون في توزيعهم للوجبات بين أصحاب الديانات والجنسيات المختلفة ولا يفرقون بين فقير وغني<sup>(٥٨)</sup>.

ويصف ابن فضل الله العمري الذي زار مدينة الخليل في شهر ذي الحجة سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م: "ما كان يقدم في سماط الخليل من طعام فيقول: "أخبرني بعض المباشرين أن بعض ليالي العشر من هذه السنة فرقوا زيادة على ثلاثة عشر ألف رغيف وأن أغلب أيام العام ما بين السبعة آلاف والعشرة آلاف ويفرق مع الخبز طعام الزيت والسماق وفي بكرة النهار يطبخ أيضاً على قدر من الدشيش<sup>(٥٩)</sup> ويفرق على الواردين وفي بعض أيام الأسبوع يطبخ ما هو أفخر من ذلك<sup>(٦٠)</sup>.

كما أن الضيافة كانت محط تقدير وإعجاب الزوار الأوربيين سواء اليهود منهم أو المسيحيين على ما كان يقدم من كميات اللحوم والخضروات يومياً بشكل منتظم ويقدر الدخل السنوي للضيافة بخمسة آلاف دينار يأتيها من تبرعات المسلمين<sup>(٦١)</sup>.

وتقدر كمية الدقيق التي كانت تستهلك يومياً بما يقدر ما بين عشر أو أحد عشر جوالاً، وكانت ترد من إيرادات الأراضي الموقوفة للصرف على الجامع الإبراهيمي لتقديم الأعمال الخيرية<sup>(٦٢)</sup>.

## وظائف السِماط وجامع الخليل

إن المصادر التقليدية ونقصد بها كتب التاريخ والرحلات والجغرافيا قد بخلت علينا بذكر أية معلومات عن الوظائف المختلفة باستثناء بعض الإشارات الطفيفة، إلا أن فضل الله كان علينا عظيمًا عندما عثرنا على الدفتر رقم ١٣١ من دفاتر التحرير أو الطابور التي تم تدوينها في القرن العاشر الهجري، السادس عشر للميلاد على بيان بهذه الوظائف والرواتب التي كان يتم صرفها لها سنويًا وهي على النحو التالي:

١- الناظر	١٥٠٠	درهم فضة سنويًا
٢- نائب الناظر	١٤٠٠	درهم فضة سنويًا
٣- الخطباء	٥٨٩٥	درهمًا فضة سنويًا
٤- الإمامة	١٠٢٠	درهمًا فضة سنويًا
٥- مسجده	٤٥٠٠	درهم فضة سنويًا
٦- خادمًا	٤٣٢٠	درهم فضة سنويًا بواقع ٣٥٢,٥ درهم

للفرد

٧- قراء قرآن كريم	٩٠٠٠	درهم فضة سنويًا
٨- قراء السبع ٤ أنفار	٦٨٠٠	درهم فضة سنويًا بواقع ١٧٠٠ درهم

للفرد

٩- حافظ يوم الجمعة ٧ أنفار	١٨٠٠	درهم فضة سنويًا بواقع ٢٥٧,٥ درهم
----------------------------	------	----------------------------------

للفرد

١٠- تفريق ٤ أنفار	٢٤٠٠	درهم فضة سنويًا بواقع ٦٠٠ درهمًا
-------------------	------	----------------------------------

للفرد

١١- المؤذن ٣٠ نفرًا	١٨٠٠	درهم فضة سنويًا بواقع ٦٠ درهمًا للفرد
١٢- موزعو الخرج نفران	٦٠٠	درهم فضة سنويًا بواقع ٣٠٠ درهم

للفرد

١٣-	المبلغون ١٥ نفرًا	٤٢٠٠	درهم فضة سنويًا
١٤-	الفراشون	٣٨٤٠٠	درهم فضة سنويًا
١٥-	الخدام ٢١ نفرًا	١٢٦٠٠	درهم فضة سنويًا بواقع ٦٠٠ درهم للفرد
١٦-	مفرقو الربعات ١٨ نفرًا	٤٢٠٠	درهم فضة سنويًا
١٧-	معلمون ومعماريون ٢٤ نفرًا	٦٤٨٠٠	درهم فضة سنويًا
١٨-	حجاب ٣ أنفار	٩٠٠٠	درهم فضة سنويًا
١٩-	المباشرون ٩ أنفار	٣١٢٠٠	درهم فضة سنويًا
٢٠-	كتاب درج ٥ أنفار	١٨٠٠	درهم فضة سنويًا
٢١-	شحاتون ٨ أنفار	٣٣٦٠	درهمًا فضة سنويًا
٢٢-	أمير آخور نفران	١٨٠٠	درهم فضة سنويًا
٢٣-	خدام السفارة ٥ أنفار	٢٤٠٠	درهم فضة سنويًا بواقع ٤٨٠ درهم للفرد
٢٤-	بوابون ٦ أنفار	٢٦٠٠	درهم فضة سنويًا
٢٥-	صيرفي ٣ أنفار	٢٧٠٠	درهم فضة سنويًا
٢٦-	الجباية ٥ أنفار	٢٦٠٠	درهم فضة سنويًا
٢٧-	المرتبان	٢٧٠٠	درهم فضة سنويًا
٢٨-	خبازون وطباخون ٥١ نفرًا	٢١٩٤٠	درهم فضة سنويًا بواقع ٤٣٠,٢ درهم للفرد
٢٩-	تنوير الحرم وزيت	٣٠٠٠	درهم فضة سنويًا
٣٠-	المقررون ٢٠ نفرًا	٤٢٠٠	درهم فضة سنويًا.

ومما يلفت النظر العدد الكبير من الخبازين والطباخين وخدام السفارة، حيث بلغ عددهم ٥٦ موظفًا بلغ إجمالي رواتبهم السنوية ٢٤٣٤٠ درهمًا. وهذا يدل



دلالة واضحة على عظم ما يقدمه سماط الخليل من خدمات لسكان مدينة الخليل ولضيوف خليل الرحمن عليه السلام من خبز وعدس وخلافه. إضافة إلى ما كان يقدم من عقيق إلى دواب الضيوف وخيول المسؤولين المارين بالخليل<sup>(٦٣)</sup>.

### زوار السَّمَط

تعددت الجهات التي كان يفد منها الزوار إلى مدينة الخليل عليه الصلاة والسلام. فمنهم وهو في طريقه لأداء مناسك الحج في مكة المكرمة يقدم القدس، ومنها إلى الخليل ثم مكة المكرمة. من ذلك ما يذكره لنا الغزي عن الشيخ أبي العون في سنة سبع وتسعين وثمان مئة للهجرة حيث "توجه من القدس لزيارة الخليل عليه السلام قاصداً مكة المشرفة بعد الظهر يوم الاثنين السابع عشر من الشهر المذكور..." ومنهم من كان يتوجه من دمشق إلى القدس الشريف، ومنها إلى الخليل<sup>(٦٤)</sup>.

ويضرب لنا الرحالة المغربي ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) مثالا لما كان يهدف إليه زوار بلاد المغرب والسبب في زيارتهم فيقول: "ثم سافرت من غزة إلى مدينة الخليل، صلى الله على نبينا وعليه وسلم تسليماً، وهي مدينة صغيرة الساحة، كبيرة المقدار، مشرقة الأنوار، حسنة المنظر، عجيبية المخبر، في بطن واد، ومسجدها أنيق الصنعة، محكم العمل، بديع الحسن، سامي الارتفاع، مبني بالصخر المنحوت، في أحد أركانه صخرة، أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبراً،... وفي داخل المسجد الغار المكرم المقدس، وقبر إبراهيم وإسحق ويعقوب، صلوات الله على نبينا وعليهم، ويقابلها قبور ثلاثة هي قبور زوجاتهم.. وبداخل هذا المسجد أيضاً قبر يوسف، عليه السلام، وبشرقي جامع الخليل تربة لوط، عليه السلام..."<sup>(٦٥)</sup>.

كما تشير بعض المصادر إلى أن أبناء الهند من المسلمين، كانوا يقصدون مدينة الخليل عقب أدائهم مناسك الحج وزيارة مدينة رسول الله صلى الله عليه

وسلم ومنها يتوجهون إلى الخليل لزيارة الخليل عليه السلام، وأبنائه السادة الكرام وغيرهم من الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام<sup>(٦٦)</sup>. وهذا ما يؤكد لنا ابن بطوطة بقوله: "ثم سافرنا من المدينة الشريفة إلى العلا<sup>(٦٧)</sup> وتبوك<sup>(٦٨)</sup>، ثم إلى بيت المقدس ثم إلى مدينة الخليل صلى الله عليه وسلم"<sup>(٦٩)</sup>.

وواضح مما تشير إليه بعض المصادر أن مدينة الخليل كانت لها مكانتها في نفوس كثير من المعاصرين، وخاصة بعد تلك الغيبة عن أحضان الدولة الإسلامية في ظل احتلال الفرنج لها، وخير من عبر عن ذلك أبو شامة (ت ٦٦٥ هـ / ١٢٦٦ م) في ذكره لحوادث سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م بقوله: "وفيها في آخر شعبان سافرت أنا إلى بيت المقدس صحبة الفقيه عز الدين بن عبدالسلام وغيره على سبيل الزيارة للأقصى والخليل وما بتلك الديار من الآثار ورجعنا إلى دمشق بعد أربعة عشر يوماً"<sup>(٧٠)</sup>.

### مكان السمّاط

يذكر لنا مجير الدين الحنبلي مؤرخ القدس في العصر المملوكي ذلك المكان بكل دقة، حيث يقول: "وعلى باب المسجد الذي تدق عنده الطبلخانة المكان الذي يصنع فيه خبز السمّاط... وهو مكان متسع يشتمل على ثلاثة أفران وستة أحجار للطحن. تحت هذا المكان الحواصل التي يخزن فيها القمح والشعير.. وأما الاهتمام بعمل السمّاط من كثرة الرجال في تعاطي أسبابه من طحن القمح وعجنه وخبزه وتجهيز آلاته من الحطب وغيره والاعتناء بأمره، فذلك من العجائب". وقد زاد عليه الخليلي قوله: "وكان له ثلاثة أفران يخبز فيها وثلاثة طواحين بل أكثر. وكان له ستون حمارًا تنقل الحطب وغيره، وأربعون بغلاً هكذا رأيت بذلك حجة قديمة"<sup>(٧١)</sup>.

### قدور السمّاط

من الواضح أن هذه القدور كانت من النحاس المطلي بالقصدير حتى لا تتفاعل الأطعمة مع النحاس بشكله الأحمر، وقد كانت عملية الطلاء هذه أو

التبويض معروفة وشائعة طوال العصور الوسطى وإلى فترة منتصف القرن العشرين الميلادي، وقبل أن يحل الألمونيوم في صناعة أدوات الطعام بدلا من النحاس، والدليل على عملية التبويض هذه أو الطلاء ما ذكره لنا الخليلي مؤرخ القدس في حديثه عن قدور الأنبياء التي يعمل فيها الطعام للفقراء، ومقدار الواحدة تقريبا ثلثمائة وخمسون أقة وهن ثلاث<sup>(٧٢)</sup>. والمعروف أن الأقة وحدة وزن عثمانية تزن ٤٠٠ درهم كل درهم ٢,٢٠٧ جرامًا = ١,٢٨٢٨ كيلو جرامًا، وبذلك كان كل قدر من هذه القدور الثلاث يسع  $١,٢٨٢٨ \times ٣٥٠ = ٤٤٨,٩٨$  كيلو جرام<sup>(٧٣)</sup>. وليس هذا بمستغرب أمام ضخامة أعداد المستفيدين من هذا السماط، وقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لن تخلو الأرض من ثلاثين مثل إبراهيم خليل الرحمن بهم يغاثون وبهم يمطرون وبهم يرزقون<sup>(٧٤)</sup>.

وهنا نتبغي الإشارة إلى أن هذه القدور ظلت تعمل طوال العصر المملوكي، وأنها حينما توقفت عن نشاطها لمدة ثلاثة أشهر عام ٨٩٣هـ / ١٤٩٤م فقد تسبب ذلك في إحداث موجة من السخط والاستنكار بين الأهالي احتجاجا على ذلك<sup>(٧٥)</sup>.

### أقوال الرحالة والجغرافيين المسلمين

نظرًا لارتباط ظاهرة سماط أو ضيافة الخليل عليه السلام بحركة الزيارة والترحال إلى مدينة الخليل، فيجدر بنا التعرف على أقوال الرحالة والجغرافيين والمؤرخين المسلمين التي تناولت ذلك، لأنها تكشف عن جذورها السابقة. هذا السماط أو الضيافة يرجع بأصله إلى أيام سيدنا إبراهيم عليه السلام، عندما كان يكرم ضيفه حتى أنه لا يأكل إلا إذا شاركه طعامه الفقراء والمساكين. ويحتم على الضيف أن يقيم في ضيافته خمسة عشر يومًا، وفي رواية أخرى ثلاثة أيام "وإذا قصد إطعامهم دق الطبل لإعلامهم أنه هيا لهم ما يأكلون ليجتمعوا، فإذا سمعوه بادروا واجتمعوا لأكل سماطه الكريم، فصارت سنة بعد في كل يوم"<sup>(٧٦)</sup>.

وكان أول ذكر لسماط الخليل أو ضيافته في المصادر العربية ما جاء في القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي عند المقدسي حينما قال وهو يتحدث عن بلد الخليل: "وحبرى هي قرية إبراهيم الخليل عليه السلام وفي هذه القرية ضيافة دائمة وطباخ وخباز وخدام مرتبون، يقدمون العدس بالزيت لكل من يحضر عندهم من الفقراء ويدفع إلى الأغنياء إذا أخذوا. ويظن أكثر الناس أنه من وقف تميم الداري وغيره والأفضل عندي التورع عنه". وقد جاء في الهامش من نفس الصفحة: وقد كان أمير خراسان ثبت الله تعالى دولته أمر لها في كل سنة بألف درهم وأوقف عليها الشاد العادل وقفا جليلا ولا أعلم اليوم في الإسلام مكرمة وصدقة أفضل منها لأنه طعام جليل يأكله الجياع من أبناء السبيل ويقام بها سنة إبراهيم لأنه كان يحب الضيافة في حياته فأجراها الله تعالى له بعد مماته<sup>(٧٧)</sup>.

وقال عنها ياقوت الحموي الذي توفي عام ٦٢٦هـ / ١٢٢٨ أي في العصر الأيوبي: "الخليل اسم موضع وبلدة فيها حصن وعمارة وسوق بقرب بيت المقدس، بينهما مسيرة يوم، فيه قبر الخليل إبراهيم في مغارة تحت الأرض. وهناك مشهد وزوار وقوام في الموضع وضيافة للزوار... وبالخليل سمي الموضع واسمه الأصلي حبرون، وقيل حبري..."<sup>(٧٨)</sup>.

ومن العصر المملوكي يأتي ابن فضل الله العمري المتوفي سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م الذي يتناول حال السماط أو الضيافة منذ أن كان المسلمون يشرفون على الجامع الخليلي وأنهم أوقفوا عليه أوقافا عظيمة، وأن السماط كان يمد في كل يوم بعد صلاة العصر ويفرق من الخبز على الواردين على قدر كفايتهم. وهناك الموظفون الذين يعملون على خدمة السماط ليل نهار، حيث يقومون بغريلة القمح وطحنه وعجنه وخبزه فضلا عن إحضار مستلزمات إيقاد الأفران، "ولم يزل على هذا مدى الشهور والأعوام والليالي والأيام لا ينقطع له مدد..."<sup>(٧٩)</sup>.

ويفسر لنا أبو الفداء الذي توفي عام ٧٣٢هـ / ١٣٣١م أي في العصر المملوكي كذلك، السر في استخدام زيت الزيتون في هذا السماط أو تلك الضيافة. وذلك في قوله: "بيت حبرون قبر إبراهيم وإسحق ويعقوب صفا، وقبور نسائهم صفا. والمدينة في وهدة بين جبال كثيفة الأشجار. وأشجار هذه الجبال وسائر جبال فلسطين وسهولها زيتون وتين. وخرنوب، وسائر الفواكه أجل من ذلك" (٨٠).

ومن العصر المملوكي كذلك يأتي ابن حجة الحموي المتوفي سنة ٨٣٧هـ / ١٤٤١م الذي قال عن هذا السماط: "وأكلنا من شهي عدسه لونا ووجدناه من الهناء ألوانا..." (٨١).

ومن العصر المملوكي يأتي كذلك ابن شاهين المتوفي عام ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م فيقول: "وقرية لحول" (٨٢) بها قبر يونس عليه السلام ورام بها مقام إبراهيم عليه السلام، وكفر بريك (٨٣) به قبر لوط عليه السلام، وياقين (٨٤) بها مقامه، وأما مدينة حبرون المدفون بها إبراهيم خليل عليه السلام ويعرف بمدينةته وهي مدينة حسنة عدية وبها الجامع الذي به مقام الخليل وسرداب هو مدفون به، يوقد فيه قنديل ليلا ونهاراً وعن يمين الشباك قبره الشريف وعليه ستر من حرير وتجاه ذلك زوجته سارة ومقصورتان بأحدهما يعقوب وزوجته وبظاهره مكان بشباكين بأحدهما إسحق والآخر زوجته، وبآخر المكان من الجهة الغربية قبر يوسف عليه السلام وبه مغارتان وهو مكان حسن إلى الغاية. وله أوقاف كثيرة وخدام ويمد به سماط الخليل عليه السلام في كل يوم حتى لو أنه ورد ذلك المكان أهل الدنيا لفاضت البركة على السماط إلى أن يكفيهم. وبهذه الأماكن الشريفة من الفضل ما يكل عن ضبطه الأقلام، وتعجز عن الإحاطة به العقول والأفهام..." (٨٥).

ومن أواخر العصر المملوكي يأتي مجير الدين الحنبلي الذي توفي عام ٩٢٧هـ / ١٥٢١م وهو مؤرخ ببيت المقدس الشهير والذي قال عنه: "وبجوار المسجد الجاولي من جهة القبلة المطبخ الذي يعمل فيه الدشيشة للمجاورين والواردين وعلى

باب المطبخ تدق الطبخانة في كل يوم بعد صلاة العصر عند تفرقة السماط الكريم. وهذا السماط من عجائب الدنيا يأكل منه أهل البلد والواردين وهو خبز يعمل في كل يوم ويفرق في ثلاثة أوقات بكرة النهار وبعد الظهر لأهل المدينة وبعد العصر تفرقه عامة لأهل البلد والواردين، ومقدار ما يعمل فيه من الخبز كل يوم أربعة عشر ألف رغيف ويبلغ إلى خمسة عشر ألف رغيف في بعض الأوقات إذا كان عندهم زائر. وأما سعة وقفه فلا تكاد تتضبط. وأما سماطه الكريم فإنه لا يمنع منه أحد من الأغنياء ولا من الفقراء<sup>(٨٦)</sup>.

ونحن إذا قارنا بين المعلومات التي سبق أن أوردتها ابن فضل الله العمري من أنه كان يفرق يوميا من الخبز سبعة آلاف رغيف، وبين ما أورده مجير الدين الحنبلي من أنه كان يفرق يوميا أربعة عشر ألف رغيف، لأدركنا أن عدد المستفيدين قد تضاعف أواخر العصر المملوكي، وبالتالي فقد زادت إمدادات المؤن لمواجهة تلك الزيادة، هذا من جهة، ومن جهة أخرى لأدركنا استمرار هذه الضيافة وذلك السماط من أول العصر المملوكي الذي يمثله ابن فضل الله العمري وحتى أواخر ذلك العصر والذي يمثله مجير الدين الحنبلي، بالإضافة إلى ما ورد لديهما عن أصول هذا السماط، ومكانه، وبعض العاملين فيه. وبعض دواب الحمل التي توصل القمح إلى المطاحن والأفران. وهي معلومات على جانب كبير من الأهمية لدارسي التاريخ.

ثم يأتي الخليلي المتوفي عام ١١٤٧هـ / ١٧٣٤م فيقول: "والسَّماط الكبير هو ما كان يفرق في كل يوم ثلاث غراير وثلاث، وكان يعمل في كل يوم خمسة عشر ألف رغيف كل رغيف رطل مصري، ويصرف ذلك لزوايا ومدارس ورباطات ومعاهد خير في مدينة أبي الأنبياء وخارجها كمقام لوط عليه الصلاة والسلام لمن فيه من المجاورين والفقراء، ومقام يونس كذلك، ومقام العيص كذلك... والسماط الصغير وهو ما يعمل من الخبز والشوريا ويصرف للفقراء صباحاً ومساءً مع دق

الطبول التي كان يُعلم بها جناب إبراهيم الضيفان، ولم تزل كذلك عند تفرقة السماط الشريف، وعلى ذلك من المهابة والجلالة ما هو لائق بذلك المقام الذي ضم هؤلاء السادة الأعلام، وهو جناب إبراهيم وزوجته السيدة سارة، واسحق وزوجته السيدة ليقة، ويعقوب وزوجه السيدة ربقة، ويوسف الصديق...<sup>(٨٧)</sup>.

وليست لدينا أية معلومات عن بقية العصر العثماني، وفترة الانتداب البريطاني وحتى عام ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م وهو عام نكسة فلسطين، ثم الفترة التي تلت ذلك وبعد عام ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م، إلا أن المؤرخ الإنجليزي الشاب مايكل دمير والذي يعمل حالياً باحثاً في العلوم السياسية في جامعة إكستر ببريطانيا، والذي قضى السنوات الخمس الأخيرة من القرن العشرين في فلسطين المحتلة لإعداد رسالته للدكتوراه عن سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين ١٣٦٨ - ١٤٠٩هـ / ١٩٤٨ - ١٩٨٨م فاجأنا بقوله: "كان هذا المركز لتوزيع الطعام لا يزال، حتى كتابة هذه السطور، يعمل لإطعام المحتاجين والمسنين في مدينة الخليل القديمة، أما الوقف ذاته، فقد أخذ على عاتقه مهمات خيرية أخرى منها، مثلاً، بناء مستشفى"<sup>(٨٨)</sup>.

وهذا يؤكد كفاح أهل الخليل لدوام هذا السماط، رغم استيلاء النظام الإسرائيلي على كثير من الأوقاف في كل مكان.

### رعاية سلاطين المماليك

تمضي مئات السنين وتبقى أسماء الظاهر بيبرس البندقداري، والمنصور قلاوون والناصر محمد بن قلاوون، والناصر حسن بن محمد بن منصور قلاوون (ت ٧٦٢هـ / ١٣٦٠م)، والظاهر برقوق، والظاهر جقمق (ت: ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م)، والملك الأشرف سيف الدين أبو النصر أينال العلاني (ت: ٨٦٥هـ / ١٤٦١م)، الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد خشقدم (ت: ٨٧٢هـ / ١٤٦٧م)، والملك الأشرف قايتباي المحمودي سيف الدين أبو النصر (ت: ٩٠١هـ / ١٤٩٦م)،

والسلطان الملك الأشرف أبو النصر قانصوه بن عبدالله الجركسي المشهور بالغوري (ت: ٩٢٢هـ/١٥١٦م)، مضيئة كالشهب في سماء دنيا المسلمين عامة، وسماء مدينة الخليل خاصة لما ذكرته المصادر المعاصرة عن رعايتهم لها، في عصر دولة سلاطين المماليك بشقيه المماليك البحرية والمماليك الجراكسة. وأول أوجه هذه الرعاية تتجلى في إحياء سماط خليل الرحمن، على يد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري المؤسس الحقيقي لدولة سلاطين المماليك والذي حكم في الفترة من ٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م.

ففي عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م "ورد الخبر بأن السلطان الظاهر بيبرس البندقداري رتب بمدينة الخليل السّماط والرواتب للمقيمين والواردين. وكان قد بطل ذلك من عدة أعوام كثيرة". وفي عام ٦٦٦هـ/ ١٢٦٧م أمر السلطان الظاهر بيبرس البندقداري بعمارة مسجد الخليل عليه السلام، فتوجه الأمير جمال الدين بن نهار للقيام بذلك حتى أنهى عمارته<sup>(٨٩)</sup>.

وفي عهد السلطان الظاهر بيبرس البندقداري تولى نظارة [القدس والخليل] علاء الدين الأعمى هو أيدغدي بن عبد الله الصالحي النجمي، كان من أكابر الأمراء، "وعمر المغلق ببلد سيدنا الخليل عليه السلام على باب الجامع الشريف الذي بداخله الأفران والطواحين وهو مكان من العجايب يغلق عليه باب واحد، والحاصل الذي يوضع فيه القمح والشعير علوه"<sup>(٩٠)</sup>. وفي هذا النص تأكيد آخر على مدى رعاية بيبرس بمكان سماط الخليل وتهيئته للعمل.

كما تظهر رعاية السلطان الظاهر بيبرس البندقداري بمدينة الخليل في قول المؤرخ ابن تغرى بردي وهو من المصادر المعاصرة لدولة سلاطين المماليك من أنه: "وجدت في الخليل عليه السلام قبته، ورمم شعثه وأصلح أبوابه وميضاته وبيّضه وزاد في راتبه"<sup>(٩١)</sup>.



أما بالنسبة للسلطان المنصور سيف الدين قلاوون، والذي حكم منذ عام ٦٧٨ - ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ - ١٢٩٠ م. فيحسب له أنه اهتم بالرعاية الصحية في مدينة الخليل، ففي عهده أنشأ بيمارستاناً<sup>(٩٢)</sup> بالخليل هو البيمارستان المنصوري، وقد أنشأه عام ٦٨٠ هـ / ١٢٨١ م، وإن كنا لم نعثر في المصادر المعاصرة على أية معلومات أخرى عن هذا البيمارستان، إلا أننا نرجح أنه لم يختلف كثيراً عن بيمارستانه الذي شيده في القاهرة وكان من أشهر البيمارستانات في مصر في العصر المملوكي.

وفي عام ٦٨٦ هـ / ١٢٨٧ م أمر السلطان المنصور سيف الدين قلاوون بتغطية أجزاء واسعة من جامع الخليل بالرخام، ويبدو أن هذه الأعمال كانت من الكبر إلى حد عده المؤرخون بمثابة تجديد شامل للجامع الإبراهيمي<sup>(٩٣)</sup>.

ورصد السلطان الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١ هـ / ١٣٤٠ م) جزءاً كبيراً من الثروة في رعاية مدينة الخليل، حيث عمر جامع الخليل عليه السلام عمارة فائقة. ورخم جامع سيدنا الخليل عليه السلام<sup>(٩٤)</sup>. كما أمر بتعمير جامع الخليل والدهليز في المنطقة الملاصقة لمطبخ السماط، وعلى باب هذا المطبخ كانت تدق الطبلخانات في كل يوم بعد العصر عند تفرقة السماط الكريم<sup>(٩٥)</sup>، وفي عصره تم تعمير دكة المؤذنين "على عمد من الرخام في غاية الحسن"<sup>(٩٦)</sup>.

ولعل الوثائق الخاصة بمثل هذه الأعمال محفوظة بصندوق أبي الأنبياء الكرام حضرة خليل الرحمن، والذي يطلق عليه الآن صندوق العمل وتحفظ بداخله جميع وثائق أوقاف الخليل عليه السلام، وهو محفوظ بمقام النبي يوسف، وقد تم جرد محتويات هذا الصندوق، وقد قام المسئولون في قسم إحياء التراث الإسلامي في دائرة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية في القدس بنشر ملخصات لعدد من الحجج الموجودة داخل الصندوق، لكنهم مع الأسف لم ينشروا شيئاً عن كثير من محتوياته<sup>(٩٧)</sup>.

وتحتفظ دار الوثائق القومية بالقاهرة "مجموعة محكمة الأحوال الشخصية المحكمة الشرعية" بخمسة وثائق للسلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون. وبهنا من هذه الوثائق الوثيقة رقم ٤١ محفظة رقم ٦ والمؤرخة في ١٧ ربيع الأول سنة ٧٦٢هـ / ١٣٦١م وهي نفس السنة التي قتل فيها هذا السلطان والتي تعكس عناية هذا السلطان بمدينة الخليل بوجه عام وسِماط الخليل بوجه خاص، فقد جاء بها: "يصرف في كل يوم ثمن ثلاثمائة رطل بالرطل المصري<sup>(٩٨)</sup> من الخبز وما يحتاج إليه من عدس وتوابل وأجرة طبّاخ وما عون بسبب طبخ ذلك يفرق الخبز والعدس في كل يوم على الفقراء والمساكين بمدينة سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام على ما يراه الناظر".

ومن أوجه العناية لهذا السلطان أنه أنشأ مدرسة أي كلية جامعية بمفاهيم عصرنا الحالي في الخليل، وقد كانت لتدريس المذاهب السنية الأربعة مثل مدرسته في القدس<sup>(٩٩)</sup>.

وفي دولة السلطان الملك الظاهر برقوق وفي الفترة من ٧٨٤-٧٩١هـ / ١٣٨٢-١٣٨٩م. فقد وقف دير أستيا وهي قرية من قرى نابلس باتجاه الجنوب الغربي على بعد ٢٥ كم جنوب غرب مدينة نابلس على سِماط الخليل عليه السلام، وشرط أن لا يصرف ريعها إلا في السِماط الكريم فقط، وكتب وثيقة الوقف على عتبة باب الخليل عليه السلام<sup>(١٠٠)</sup>. وقد جاء في وثيقة الوقف هذه: "بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وقفه وحبسه وسبله رجاء الثواب وابتغاء ما عند الله تعالى يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين مولانا السلطان الملك المالك الظاهر سيف الدنيا والدين سلطان الإسلام والمسلمين محيي العدل في العالمين صاحب سند القبلتين وخادم الحرمين الشريفين ملك الملوك والسلطين أمير المؤمنين أبو سعيد برقوق ابن السيد الشهيد سيف الدين والدنيا أبي المعالي خلد الله ملكه وسلطانه ونصر جيوشه وجنوده وأعوانه وأفاض على الكافة جوده

وبره وإحسانه بنية صادقة وطوية صالحة، وذلك جميع القرية المعروفة بدير أصطيا من أعمال نابلس المعمورة على السمار المبارك بالحرم الشريف حرم سيدنا خليل عليه السلام مختصا بما يحتاج إليه السمار المبارك من المؤن اللازمة وهو القمح والعدس والزيت بحكم أن لا يصرف من ريع هذا الوقف المذكور الدرهم الفرد في غير ذلك بعد إبطال ما كتب لأرباب الرواتب على القرية المذكورة وغيرهم ممن رتب له عليه شيء بجملة الكافة، وفقاً صحيحاً شرعياً معتمداً مؤبداً مخلداً على الشهور والأيام والسنين والأعوام لا تغييره الأعوام والتكرار ولا يبدل له اختلاف الليل والنهار "ومن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم" على يد المقر السيفي كتبغا السالمي الخاسكي (الخاصكي) الظاهري المقر السيفي ناظر الحرمين الشريفين أعز الله أيام دولته". وقد تم تدوين هذا النص على الباب الشرقي من أبواب الجامع الخليلي الثلاثة<sup>(١٠١)</sup>. التي في داخل السور، وهو خلف مقام السيدة سارة من جهة الشرق.

كما أحدث السلطان الظاهر برقوق تغييرات كبيرة في الجامع الخليلي ففي عام ٧٩٦هـ/١٣٩٤م لم يكتف برقوق بإقامة محراب جديد للمالكية في مسجد النساء بل أقام أيضاً باباً جديداً في الجانب الغربي للكنيسة الرومية القديمة خلف قبر إبراهيم عليه السلام مباشرة، كما شيد باباً آخر في السور الغربي للحرم فيما يعرف بحائط سليمان، وهذا الباب قريب من باب مقام يوسف<sup>(١٠٢)</sup>.

وعن السلطان الناصر فرج بن برقوق (ت: ٨١٥هـ/١٤١٢م) فقد علق "بجامع سيدنا خليل عليه الصلاة والسلام الستائر الحرير على الأضرحة الشريفة"<sup>(١٠٣)</sup>. وقد جاء في الوثيقة رقم ١٤٤ من وثائق الحرم القدسي الشريف نقلاً لنقش كتب على قبر سيدنا لوط في قرية تدعى كفر بريك المعروفة اليوم باسم قرية بني نعيم التابعة للخليل النص التالي:

"جدد عمارة مقام نبي الله لوط عليه السلام مولانا السلطان الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق خلد الله ملكه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وهذا آخر ما سهل عمله".

ويعلق الناشر بقوله: يذكر المؤلفون العرب القدماء هذه القرية مقرونة باسم النبي لوط، ويجمعون استنادًا إلى معتقدات شعبية قديمة، على أن النبي لوطًا مدفون فيها<sup>(١٠٤)</sup>.

أما السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق الذي حكم ما بين عامي ٨٤٢-٨٥٧هـ / ١٤٣٨-١٤٥٣م فقد أوقف قرية شويكة التي تقع شرق الظاهرية، وتعرف بشويكة بني قيس، على مصالح مقام إبراهيم الخليل عليه السلام<sup>(١٠٥)</sup>. كما أنه أنعم على (القدس والخليل) بألفين وخمسمائة دينارًا، ومائة وعشرين قنطارًا من الرصاص برسم العمارة، ومائة وعشرين غرارة<sup>(١٠٦)</sup> من القمح، القيمة عنها ثلاثة آلاف وستمئة دينار.

وفي عهد الملك الأشرف إينال الذي حكم ما بين سنتي ٨٥٧-٨٦٥هـ / ١٤٣٥-١٤٦٠م فقد كسى الأضرحة الشريفة، "وهي ضريح سيدنا الخليل عليه السلام، وأولاده وسيدنا موسى الكليم، وسيدنا لوط، وسيدنا يونس عليهم السلام، الستور المزركشة... وأنعم الأشرف إينال على جهتي الوقفين بألف ومائتي إردب قمح، القيمة عنها أربعة آلاف دينار وثمانية دنانير..."<sup>(١٠٧)</sup>.

وفي عهد السلطان الظاهر خشقدم الذي حكم ما بين سنتي ٨٦٥-٨٧٢هـ / ١٤٦٠-١٤٦٧م، فقد أنعم على جهة الوقف الخليلي بستين غرارة قمح، القيمة عنها ثمانمائة وأربعون دينارًا، وجدد عمارة المسجد الجاولي بالخليل عام ٨٦٧هـ بمباشرة الأمير ناصر الدين محمد نظام الهنام الناظر<sup>(١٠٨)</sup>.

وعن السلطان الأشرف قايتباي الذي حكم ما بين سنتي ٨٧٢-٩٠١هـ / ١٤٦٨-١٤٩٦م فقد جاء في الوثيقة رقم ١ من وثائق القدس<sup>(١٠٩)</sup>، أن السلطان

الأشرف قايتباي قد أوقف على الدشيشة أي القمح المدشوش ويعرف كذلك بالجشيشة أي القمح المجروش، في الحرمين الشريفين، الحرم القدسي وجامع الخليل، والوقف عبارة عن حصص في أربع قرى بالقدس ما بين ربع ونصف قرية ونصف قرية و ١٥ قيراطاً في قرية ثالثة، وربع قرية في بيت لحم<sup>(١١٠)</sup>.

من هذا العرض السابق لأهم جهود كثير من سلاطين المماليك البحرية والجراسية، يتضح لنا أن هؤلاء السلاطين قد رصدوا جزءاً كبيراً من ثرواتهم في رعاية مدينة الخليل ومقدساتها وسماطها. كذلك يظهر أن العناية بمدينة الخليل لم تكن قاصرة على المؤسسات الدينية، بل كانت عنايتهم بالمؤسسات العلمية والخيرية والاجتماعية لتوفير حياة طيبة في المدينة وتنشيط الحياة فيها. وإن الحقائق التاريخية قد وضعت مسئوليات تجاه مدينة الخليل على مصر والعرب والمسلمين والمسيحيين جميعاً، لارتباط هذه المدينة تاريخياً بهم منذ أقدم عصورها التاريخية حتى الآن، وأن الادعاءات الصهيونية الخاصة بالخليل تقوم على مجموعة من المقولات التي تؤكد الحقائق التاريخية عدم صحتها. وهي ليست مدينة تتميز بموقعها الجغرافي ودورها التاريخي، وإنما هي رمز لمعنى كبير استقر في أعماق قلوب الناس بحكم المكان والمكانة معاً، ولهذا لم يكن غريباً أن تتعلق بها الأبصار، وربما لم يظفر بلد من البلاد بما ظفرت به هذه المدينة من كتابات بعض المؤرخين والجغرافيين والرحالة.

### الجمع بين قدسيته وقدسيتها بيت المقدس

هذه الرعاية تبدو واضحة تماماً، فمن الناحية الإدارية كان يتولاهما وال واحد وناظر واحد يسمى طوال العصر المملوكي باسم ناظر الحرمين الشريفين، أي القدس والجامع الإبراهيمي، وقاض واحد عرف باسم قاضي قضاة القدس والخليل الشافعي، ثم نائب واحد بعد أن تحولت إلى نيابة للسلطنة منذ عام ٧٧٧هـ/

١٣٧٥م والذي عرف بلقب نائب القدس والخليل، وحرص سلاطين المماليك منذ ذلك التاريخ على تعيينه وإصدار مرسوم له بذلك<sup>(١١١)</sup>.

وكان أحد أسباب هذا الدمج أنها "كانت على نحو يوم من القدس بالسير المعتاد" وأنها "لولا مكان الخليل عليه السلام، لم تذكر فيما يذكر، وإنما عادت عليها بركات ذلك المثوى الكريم، فباهت الأقطار بفضلها، وتأهلت الأمصار بأهلها"<sup>(١١٢)</sup>.

ومن المعروف أن بلاد الشام دخلت تحت حكم دولة سلاطين المماليك عقب موقعة عين جالوت ٦٥٨هـ / ١٢٦٠م، وأنهم قسموا بلاد الشام إلى ستة أقسام إدارية أطلقوا عليها اسم نيابات، لأن كلا منها على رأسها نائب لسلطان المماليك في القاهرة يتبعه وينوب عنه في حكمها، وقد ظهرت هذه النيابات تدريجيًا وليس بقرار واحد، أو في وقت واحد، وهي على حسب ترتيب ظهورها: نيابة دمشق، ونيابة حلب، ونيابة حماة، ونيابة الكرك والأردن، ونيابة صفد، ونيابة طرابلس<sup>(١١٣)</sup>، وكان على رأس كل نيابة منها أمير كبير من أمراء المماليك، يتمتع بلقب نائب السلطنة، وأكبرهم مقامًا هو نائب دمشق الذي كانت نيابته أجل النيابات الشامية وأرفعها في الرتبة<sup>(١١٤)</sup>.

وأن كل نيابة من هذه النيابات انقسمت بدورها إلى أقسام إدارية صغيرة عرفت باسم ولايات ومفردها ولاية أو نيابات صغيرة مفردها نيابة صغيرة ومنها ولاية القدس والخليل أو نيابة القدس والخليل، وأن العادة جرت بأن يضاف إليها نظر الحرمين الشريفين وهما حرم القدس وجامع الخليل<sup>(١١٥)</sup>. وإلى عام ٧٧٧هـ / ١٣٧٥م عندما تحولت إلى نيابة مستقلة عن دمشق، ولها نائب يعينه السلطان، بعد أن كان واليها يعين من قبل نائب السلطنة في دمشق<sup>(١١٦)</sup>. وفي هذه المرحلة تأكيد على ربط إدارة المدينة مباشرة بسلطنة المماليك في القاهرة بسبب النشاط الصليبي في شرق البحر الأبيض المتوسط، ومحاولات ملوك قبرص تخليص

الأرض المقدسة من قبضة المماليك وإنشائهم طائفة من أهل فلسطين أطلق عليهم "طائفة السيف" (١١٧).

وليس أدل على عناية سلاطين المماليك بالجمع بين قداسة المدينتين مما يشير إليه المقرئ في ذكره لحوادث شهر صفر سنة ٧٩٤هـ / ١٣٩١م: "وفيه خلع على الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن صدر الدين حمزة الحسيني، بنظر القدس والخليل" (١١٨).

### تحقيق الأمن والأمان ورفع الظلم

كما لم تكن رعاية سلاطين المماليك لمدينة الخليل عليه السلام قاصرة على استمرار سباط الخليل في تأدية وظيفته، ورعايتها صحياً وثقافياً وكما سبقت الإشارة بذلك، بل تعدت ذلك إلى استتباب الأمن والأمان والضرب بيد من حديد على أيدي من يهدد ذلك الأمن والأمان، مثل ذلك ما يرويه لنا المقرئ في حوادث شهر جمادى الأولى عام ٨١٢هـ / ١٤٠٩م أيام السلطان الناصر فرج بن برقوق (ت ٨١٥هـ / ١٤١٢م) من أنه: "وفي ثانيه شنع السلطان بغزة ثلاثة من مفسدي بلد الخليل، ورحل...". وواضح من هذا النص أنه فعل ذلك بهم وأنزل بهم هذه العقوبة ليكونوا مثالا لكل من تسول له نفسه أن يعمل على نشر الفساد والإخلال بأمن البلاد.

تشير كثير من المصادر المعاصرة إلى مدى رعاية سلاطين المماليك برفع المظالم عن مدينة الخليل لما لها من مكانة خاصة في نفوس المعاصرين، إلا أننا سنقتصر هنا على حادثة واحدة تؤكد على ذلك، وهي ما يرويه لنا المقرئ عن حوادث شهر جمادى الآخرة عام ٨٢١هـ / ١٤١٨م من أنه: "وقف طائفة من بلد الخليل عليه السلام للسلطان وشكوا الهروي على مال أخذه منهم في أيام نظره على بلد الخليل، وأنه طرح على بعضهم بيضا، وألزمه أن يحمل بعدده دجاجا. فبعث السلطان يأمره أن يخرج لهم مما يلزمه من الحق" (١١٩).

### ربط الخليل بخط اتصال مباشر بالقاهرة

من الواضح من كلام القلقشندي وهو أحد مؤرخي النظم في العصر المملوكي مدى حرص سلاطين المماليك على التعرف الدائم على أحوال مدينة الخليل وبكل سرعة ممكنة، وذلك عن طريق ربطها بشبكة من إرسال وتوصيل المعلومات بأسرع وأحدث طريقة كانت معروفة آنذاك عن طريق الحمام الزاجل، الذي كان يقوم بتوصيل الأخبار واستقبالها بسرعة فائقة، حيث كان بها أبراج لهذا النوع من الحمام، تخرج منها إلى غزة على ساحل البحر الأبيض ثم تتجه غرباً إلى القاهرة مباشرة<sup>(١٢٠)</sup>.

وتتمثل هذه العناية وتلك الرعاية منذ أيام الظاهر بيبرس، بربطها بخط من البريد الجوي السريع حيث يستخدم ذلك الحمام الزاجل الموجود في قلعة الجبل بالقاهرة، وفيه حمام مخصوص بالخليل يخرج من القاهرة إلى مدينة الصالحية إحدى مدن إقليم الشرقية بمصر ثم إلى قطيا على حدود مصر الشرقية، ومن قطيا إلى الواردة في شمال صحراء سيناء، ومنها إلى غزة على ساحل البحر الأبيض، ثم جنوباً إلى بلد الخليل عليه الصلاة والسلام. ومنه فروع أخرى كانت تربط بين القاهرة وعواصم بلاد الشام<sup>(١٢١)</sup>.

ليس هذا فحسب، بل تمثلت الرعاية في سرعة التعرف على الأخبار عن طريق ما عرف باسم البريد، أو مراكز الخيل، "قبين حضرة السلطان وجميع بلاد ممالكه مراكز بين المركز والمركز أميال، في كل مركز عدة خيول بريد"<sup>(١٢٢)</sup>.

### أوقاف السماط وجامع الخليل

توزعت أوقاف خليل الرحمن في ناحيتي القدس والخليل، وهي من أوسع الأوقاف انتشاراً. واقتصر دفتر تحرير ١٠١٥ T.D على ذكر حصص الوقف من القرى والمزارع التي يوجد فيها وقف لخليل الرحمن، ولم يشر إلى العقارات التي كانت موقوفة عليه وموجودة في مدينتي القدس والخليل والتي انفرد بها دفتر تحرير



(T.D131) التي شملت الدكاكين والبيوت والحمامات، والطواحين، والمخازن، والأحكار، والكروم، والبساتين. كما خصصت جزيرة النصارى واليهود الساكنين في مدينة الخليل للإنفاق على جامع خليل الرحمن. ومما يلفت الانتباه إليه العائدات المالية الكبيرة لأوقاف الجامع الخليلي. وعكست الوظائف الكثيرة وعدد شاغليها اتساع ريع هذه الأوقاف. وقد شملت هذه الأوقاف مقرئي أجزاء القرآن الكريم، والمؤذنين، وموزعي الخرج، والمبلغين، والفراشين، والخدم، والمعلمين، والمعماريين، والحجاب، والمباشرين، والكتاب، وخدام السفرة، وأمراء آخور، والبوابين، والصيارفة، والجباة، والخبازين والطباخين والمقررين، إضافة على ما كان يقدمه سباط الخليل من طبخ وعليق للخيول لزوار المدينة، وتراوحت حصص هذه القرى وعددها ٥٢ قرية ومزرعة في القدس والخليل ما بين قرى بأكملها وعددها ١٠ قرى، وثلاثة أرباع قرية وعددها ٤ قرى، ونصف قرية وعددها ٥ قرى، وربع قرية وعددها ١٢ قرية، وما بين سدس قرية في ٧ قرى، وعدة قراريط في ٤ قرى، وعدد مزارع بلغ عددها ٢١ مزرعة والمجموع العام لواردات هذه الأوقاف في القرن العاشر الهجري، السادس عشر الميلادي قد بلغ ١٠٥٩٩٤,٥ درهماً فضة. وقد كان لجامع خليل الرحمن في مدينة الخليل وللسماط والتربة والساقية والبيمارستان الحظ الوافر من ريع هذه الأوقاف<sup>(١٢٣)</sup>.

ويؤكد الخليلي على هذه الأوقاف بقوله: "فإنني قد وقفت على جميع أوقافه الشريفة، وعلى مصالح المسجد وأرزاق خدامه وزواره وعمارته كما تقف على ذلك في الباب الثاني من هذا الكتاب". "والحال أن لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ما يزيد على خمسين قرية، حصص وكوامل ومزارع وعقارات، ويأتي له من طرف مصر غلال ومال، ومن طرف الشام، ومن طرف حلب. ولا يُدرى كيف يصنع بذلك، فاعتبروا يا أولي الأبواب. والله الحمد بأنفاس أبي الأنبياء الكرام... نعم بلاد غزة عمرها الله تعالى لجنابه الشريف فيها نحو عشرة قرايا... ومن الأوقاف ما كان يحمل من مدينة دمياط على الساحل الأبيض المتوسط شمال شرقي مصر من

قمح سنوياً في البحر.. هذا إلى جانب ما كان يتبرع به أهل العلم والخير من إرسال مقادير من الزيت..»<sup>(١٢٤)</sup>.

وثمة ظاهرة واضحة في كثير من وثائق الوقف الخاصة ببلد القدس والخليل في العصر المملوكي، وهي شيوع الوقف الأهلي أو الوقف على الذرية الذي يكون ابتداء على الواقف ثم ذريته لحين انقراضهم، وبعدهم لجهة من جهات البر، ويتضح من هذا النظام الذي انتشر في هذا العصر أنَّ الغرض منه هو تحصين الأموال ضد المصادرات، فلم يقنع الواقفون بتحسين أموالهم عن طريق الوقف الأهلي أو الوقف على الذرية، بل عمدوا إلى إخفاء وقفهم الأهلي على أنفسهم وذريتهم من بعدهم خلف الوقف الخيري على الجامع أو المدرسة... إلخ وتتأكد هذه الحقيقة من دراسة وثائق الأوقاف المتتابعة، لا لأي من السلاطين والأمراء، بل لأفراد من الشعب كثيرين. ويتضح لنا من ذلك أن هذا النوع من الوقف لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى بل كان الغرض الأساسي منه تحسين الأموال ضد المصادرات<sup>(١٢٥)</sup>.

ومن أوقاف نابلس المدينة المشهورة بفلسطين مقابل بيت المقدس: وقف جمال الدين يوسف الشهير بالريضي النابلسي على نفسه ثم على أولاده وذريته ونسله وعقبه وبعد الانقراض على مصالح جامع سيدنا خليل الرحمن عليه السلام. وتاريخ الوقفية في سنة ٩٢٩هـ / ١٥٢٢م. ومصادر هذا الوقف عبارة عن حصص في ٩ مزارع كروم تابعة لنابلس، تتراوح هذه الحصص ما بين ١٢ قيراطاً و ٦٠ قيراط<sup>(١٢٦)</sup>، ومنها أوقاف كانت مشتركة بين الحرمين الشريفين بالحجاز وجامع سيدنا خليل، مثلما جاء في الوثيقة رقم ق-٨ في القدس والخاصة بشخص يدعى محب الدين بن علاء الدين، والوقف عبارة عن قرية كاملة تسمى بيت ماسين، ونصف قرية بيت ساحور الوادي، التابعتين للقدس الشريف. ومنها أوقاف كانت في غزة مثل وثيقة الوقف رقم غ-٥١ وقف الشهابي أحمد بن علي الحاجب

على نفسه وذريته وبعد الانقطاع على مصالح الحرم القدسي الشريف والجامع الإبراهيمي، وتاريخ الوقفية عام ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م، ومصادر الوقف عبارة عن بيت في محلة تفاح بغزة، و ٥ دكاكين في سوق باشورة النقلية بغزة، وربع بستان في سوق الغنم بغزة، ونصف طاحون. ومنها وقف علي بن الأمير يلبغا على نفسه مدة حياته ثم من بعده على ذريته، وبعد انقراضهم على مصالح الحرم الشريف النبوي، وعلى جامع سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام، ومصادر الوقف عبارة عن حصص في ١٣ قرية من قرى غزة هذه الحصص تراوحت ما بين الربع والنصف، وكذلك بعض حصص أخرى في مزارع غزة تراوحت ما بين قيراط، وربع وثمان قيراط، وثلاثة قرايط<sup>(١٢٧)</sup>. ومنها وقف أولاد موسى بن عبد الواحد وأخيه عثمان بن ناظر الجيش تابع غزة على نفسيهما وذريتهما وبعد الانقراض على الحرم الشريف النبوي وعلى جامع سيدنا الخليل عليه الصلاة والسلام، وتاريخ الوقفية في سنة ٩١٦هـ / ١٥١٠م<sup>(١٢٨)</sup>.

ومن أمراء المماليك من خصص جزءا من أوقافه على سيدنا الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومنها "وقف سنقر العلائي على ذريته، ومن بعد الانقراض النصف لذريته، والثلث للكعبة الشريفة والثلث للمدرسة الشريفة والثلث لتربة الخليل عليه السلام والثلث للصخرة الشريفة"<sup>(١٢٩)</sup>.

ولم تكن مثل هذه الأوقاف قاصرة على الرجال فحسب، بل شاركهم فيها نساء ذلك العصر مثل: "وقف فاطمة بنت محمد بن علي الكمشن على محمد ومن بعدهم لأولادهم وذريتهم وبعد انقراضهم إلى الحرم القدسي الشريف وجامع سيدنا خليل الرحمن. وتاريخ الوقفية عام ٨٦٩هـ / ١٤٦٤م. والوقفية عبارة عن نصف قرية سبتان تابعة للرملة إحدى ثغور بيت المقدس<sup>(١٣٠)</sup>.

ومما يلفت الانتباه وجود وقف واحد من هذا النوع الذي يجمع بين الوقف الذري والوقف الخيري في القدس هو وقف السلطان المملوكي الملك الظاهر أبي

سعيد قانصوه الذي حكم ٩٠٤ - ٩٠٦ هـ / ١٤٩٨ - ١٥٠١ م على جامعة في مصر وما فضل على أولاده وذريته وبعد الانقراض يعود على مصالح سباط سيدنا خليل الرحمن. وكانت واردات الوقف تشمل ربع أربع قرى ومزرعتين من توابع غزة إضافة إلى ٦ قراريط من قرية بيت حانون تابع الخليل، وربع ٨ قراريط من قرية نجمية تابع القدس الشريف<sup>(١٣١)</sup>.

وعن أوقاف خليل الرحمن عليه السلام في مدينة الخليل، فقد كانت تدر ربعاً قدره ٣٧٠٢٢ من الدراهم سنوياً، عبارة عن إيجار عدة دكاكين بلغت ٣٧ دكناً، وبساتين، والقبان وخان الخضر، وحمامين وجزية النصارى التي بلغت ٨٢٥٠ درهم فضة سنوياً. أما عن أوقاف خليل الرحمن في نفس مدينة القدس وتوابعها فقد بلغت ٦٩٠٠ درهم فضة سنوياً عبارة عن بيت ونصف بيت في باب القطانين، وعدة كروم في البقعة وفي برج العرب. وأوقاف في نابلس ونفس الشام والرملة، عبارة عن عدة دكاكين ومخازن وأشجار زيتون، وخان للزيت، وحمام، وبساتين كانت تدر ٤٣٨٠ درهماً فضة في السنة. وأوقاف في صفد وغزة ومصر كانت تدر ٥٣٨٠ درهماً فضة سنوياً. وعدة قرى في الخليل وما حولها كانت تدر ٥٥٢٥٠ درهماً فضة سنوياً، وعدة مزارع في الخليل وما حولها كانت تدر ١١٢٦٥ درهماً فضة سنوياً، وخصص في قرى ومزارع في الخليل وما حولها ما بين ١,٥ قيراط، و ٤ قراريط، و ٦ قراريط، و ٨ قراريط، و ١٢ قيراطا كانت تدر ٩٤٦٣ درهماً فضة سنوياً. وعلى هذا يمكننا حساب إيرادات هذه الأوقاف والتي وصلت ٨٩٦٢٣ درهماً فضة سنوياً<sup>(١٣٢)</sup>.

أما عن أوقافه في مدينة القدس فقد كانت تدر ٦٧٨٠ درهماً فضة سنوياً، وأوقافه في صفد وغزة ومصر فقد كانت تدر ٥٥٢٠ درهم فضة سنوياً. وهذه الأرقام تؤكد لنا أهمية هذه الأوقاف وربيعها الضخم في أواخر ذلك العصر<sup>(١٣٣)</sup>.

وأخيرا يجب أن نذكر أن هذه الضيافة لم تكن لتنتسج للأعداد الهائلة من الزوار القادمين إلى المدينة، لذلك نسمع عن وجود عدة خانات بها، منها خان البطيخ بقرب القلعة، وخان الغرب، وقد جاء في دفتر الطابور رقم ٧٠ هذا الخان وأنه ربما يكون الخان المعروف بخان أو وكالة السيد خليل ويقع في الجانب الشرقي من سوق القزازين، وينسب إلي السيد خليل بسبب وقفه على مصالح الجامع الإبراهيمي، ويتألف من ساحة سماوية تفضي إلى البوابة من الجهة الغربية، وتحيط بها الدكاكين من الشمال والجنوب الشرقي، ويعلوها الجامع ومجموعة من الغرف (١٣٤).

وهذا ما دفع مؤرخ القدس مجير الدين الحنبلي في أواخر العصر المملوكي إلى القول: "وأما الاهتمام بعمل سماطه وكثرة الرجال في تعاطي أسبابه من طحن القمح وعجنه وخبزه وتجهيز آلاته من الحطب وغيره والاعتناء بأمره، فذلك من العجائب لا يكاد يوجد مثل ذلك عند ملوك الأرض، ولا يستكثر مثل ذلك في معجزات هذا النبي الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم" (١٣٥).

ولم تكن العناية قاصرة على سلاطين الممالك فحسب، بل شاركهم في تلك الجهود بعض كبار الأمراء مثل الأمير بكتمر الجوكندار الذي أوقف قرية مجدل فضيل على مصالح قناة العين والحوض الذي على باب الجامع (١٣٦).

ومن الأمثلة الدالة على تأجير كثير من مصادر تلك الأوقاف للحصول على ريع كبير منها، ما جاء في إحدى وثائق الحرم القدسي الشريف، وهي الوثيقة رقم ٤٨ بتاريخ ١٣ صفر ٧٠٨هـ، وهي عبارة عن إقرار بدين لديوان سيدنا خليل عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم، أقر كل واحد من يوسف بن قاسم بن سليمان وعبد الناصر بن أحمد بن نصار من قرية نحالين من عمل القدس الشريف إقراراً صحيحاً شرعياً في صحة منهما وسلامة وجواز أمر أن عليهما وعندهما وقبلهما وفي ذمتهما من وجه حق صحيح شرعي لديوان سيدنا خليل عليه الصلاة والسلام من الدراهم الفضة الجيدة الوزنة الجارية في المعاملة ستة آلاف درهم ديناً

واجبًا وحققًا ثابتًا صحيحًا شرعيًا النصف من ذلك ثلاثة آلاف درهم يقومان بذلك في سلخ شهر رمضان المعظم سنة تاريخه وأقرأ بالمقدرة الملاءة وبذلك الإشهاد عليهما ثالث عشر صفر سنة ثمانية وسبع مئة ثم شهادة خمسة من الشهود. لضمان حقوق الديوان<sup>(١٣٧)</sup>.

من هذه الوثيقة نعرف أن المبلغ المذكور فيها وهو ستة آلاف درهم، وأن الموقعين عليها سيقومان بدفع المبلغ المذكور ليس إلى حين ميسرة ولكن بعد حوالي سبعة أشهر في رمضان من نفس السنة، وأن هذا المبلغ وإن لم تذكر الوثيقة ذلك سينفق منه على مصالح خليل الرحمن وجامعه وسماطه. وكنوع من ضمان حقوق ديوان سيدنا خليل عليه الصلاة والسلام قد تمت كتابة هذا النوع من هذا الإشهاد الذي يمكن التقدم به لقاضي قضاة القدس الشافعي أو نائبه في الخليل للمطالبة بهذا الدين بعد كتابة هذه الوثيقة وثبات الدين على المدنيين بها<sup>(١٣٨)</sup>.

### الخاتمة

واضح مما جاء في التمهيد أن مدينة الخليل عليه الصلاة والسلام مدينة عربية عريقة في القدم، يرجع تاريخها إلى أقدم العصور، وأنها ارتبطت بالأديان السماوية الثلاثة، وأنها مدينة الرسل والأنبياء، وهي ضمن الأرض المقدسة التي بارك الله فيها وحولها.

وبين البحث أهمية دولة سلاطين المماليك بشقيها، وهما دولة المماليك البحرية، ودولة المماليك الجراكسة وأن سلاطين الدولتين قد اهتموا بمدينة الخليل، ورعاية مدينة الخليل ومقدساتها وسماطها، ورعاية أهلها صحياً وثقافياً وتوفير حياة طيبة في المدينة، بعدما حققوا لها الأمن والأمان، والاستقرار في مواجهة أكبر خطرين عرفهما العالم العربي، بل والعالم أجمع وهما الخطر المغولي والخطر الصليبي.

ووضح البحث مدى قدسية الخليل وضمها إلى قدسية بيت المقدس سواء في ولاية واحدة، أو في نيابة واحدة بعد تحولها إلى إحدى نيابات بلاد الشام الشهيرة في تلك الفترة. واهتمام سلاطين المماليك بسرعة التعرف على أخبارها وربطها بخطوط اتصالات سريعة ومباشرة بالقاهرة عاصمة الدولة. فضلا عن ترجمة هذه السياسة بتحقيق الأمن الداخلي، ورفع المظالم.

وأظهر البحث أقوالاً كثيرةً للمؤرخين والجغرافيين والرحالة العرب عن قدم السماط والعاملين فيه، ومقدار ما كان يتم صرفه لزوار المدينة وأهلها دون تمييز بين جنس وآخر، أو دين وآخر. ومقدار ما كان يوزع من أرغفة في الأيام المختلفة، وخرجنا بنتيجة مؤداها أن السماط كان في حالة ازدهار مستمرة بدليل أن ما كان يوزع في بداية العصر المملوكي في غالب الأيام كان ما بين السبعة آلاف رغيف والعشرة آلاف، بينما بلغ هذا المعدل أربعة عشر ألف رغيفاً أو يزيد في نهاية العصر المملوكي.

وكشف البحث عن الوظائف المرتبة في كل من الجامع الإبراهيمي وسِمَاط الخليل والرواتب السنوية بدراهم الفضة التي كان يتناولها من جاء ذكرهم في هذه الدراسة، وهذه الأعداد إن دلت على شيء فإنما تدل على عظم ما كان يقدمه سِمَاط أو ضيافة الخليل من خدمات لسكان المدينة وزوارها. إضافة إلى الرعاية التي قدمها السِّمَاط لخيولهم بدليل وجود أكثر من أمير آخور وهو المسئول عن تلك الدواب من حمير وخيول وربما جمال، وتقديم الرعاية التي تحتاجها هذه الدواب، بما يؤكد أن السِّمَاط استفاد منه الناس والحيوانات.

وأوضح البحث مكان السِّمَاط، وأن السر في دق الطبلخانة أو الطبول هو تقليد متوارث عن سيدنا إبراهيم الخليل، أو أبي الضيفان كما كان يطلق عليه لكرمه وإصراره على أن يشاركه غيره طعامه مهما بلغ عددهم. كما أظهر البحث دور السماط النحاسية وطريقة جعلها صالحة للطبخ وسعتها وكبرها لمواجهة الأعداد الكبيرة المستفيدة من طعام وسِمَاط الخليل.

كما بين البحث أوقاف سِماط الخليل عليه الصلاة والسلام وأوقاف جامعته، سواء الموجودة في مدينتي القدس والخليل أو في أحدهما، ومنها ما كان موجوداً في صفد، ونابلس، ومصر وبوجه خاص في مدينة دمياط. وأن هذه الأوقاف اشتملت على عدد كبير من الدكاكين، والبيوت، والحمامات، والطواحين، والحواصل، والكروم، والبساتين، والحصص المختلفة في القرى، والتي تراوحت ما بين ربع هذه القرى أو نصفها أو ثلثيها، أو قرى بأكملها وتقدير ذلك بالقياس وهو وحدة تقسيم العقارات والأراضي حتى يومنا هذا.

وأوضح البحث أنه كانت هناك ثمة ظاهرة جديدة وهي شيوع الوقف الأهلي أو الوقف على الذرية الذي يكون ابتداء على الواقف وذريته لحين انقراضهم، وبعدهم لجهة من جهات الخير والبر، وأن الغرض من هذا النظام الذي انتشر في ذلك العصر في كل أنحاء سلطنة المماليك في مصر والشام وبلاد الحجاز وغيرها كان الهدف منه تحصين الأموال ضد المصادرات. ومنها كانت أوقاف على الخليل فحسب، أو على الخليل والقدس، أو على الخليل وأحد الحرمين الشريفين في الحجاز وهما مكة المكرمة والمدينة المنورة. وأن هذه الأوقاف لم تكن خاصة بسلاطين وأمراء المماليك فحسب، بل وعامة الناس كذلك. ولم تكن مثل هذه الأوقاف قاصرة على الرجال فحسب، بل شاركت المرأة بدور رائد فيها.

وأخيراً أظهر البحث أن هذه الضيافة أو ذلك السِّماط لم تكن الأماكن المخصصة له في الجامع الإبراهيمي ي لتتسع للأعداد الهائلة من سكان المدينة بوجه عام، ولزوارها بوجه خاص، لذلك وجدت عدة خانات بها، وهي التي أدت دوراً اجتماعياً مهماً في استضافة نزلائها، بالإضافة إلى مهمتها الرئيسية وهي المهمة الاقتصادية، وفيها كثير من الساحات السماوية المفتوحة وتتخللها أماكن للدواب، وحولها الدكاكين لعرض وتصريف السلع التجارية وغيرها، وبها الغرف العديدة في أعلاها. ولابد أن يكون قد توفر لها بعض دورات المياه، وربما المطابخ، والمقاهي أو الاستراحات التي يتردد عليها الزوار، وربما قد ألحق بها فرن



لإعداد الخبز للنازلين بها، أو لتوزيعه على سكان المنطقة المحيطة بها. وعلى هذا فقد قصدوا رجال الأعمال ورجال الخدمات المساعدة من سماسرة ودلالين، وقصدوا الزوار للاستضافة.

والله أسأل أن أكون قد وقفت فيما قصدت إليه، والله نعم العون والمعين، والحمد لله الذي هدانا لهذا ولولاه ما كنا لنهتدي.

### الهوامش

(١) الخليلي، "شمس الدين محمد بن محمد بن شرف الدين ت ١١٤٧هـ/١٧٣٤م": تاريخ القدس والخليل عليه السلام، حققه محمد عدنان البخيت، نوفان رجا السواري، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ١١٠-١٤٢.

(٢) تميم الداري: ينسب الصحابي الجليل تميم إلى قبيلة التميمي العربية الذين سكنوا الخليل قبل الإسلام وكان يعمل تاجرًا للزيت، قدم في صحبة من الدارين إلى مكة بعد إسلامهم، ومن مآثره - رضي الله عنه - صنعه منبر مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أهداه فرسًا استخدم في الغزوات، وكان تميم أحد الذين جمعوا القرآن الكريم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كما كان يقوم مقام النبي صلى الله عليه وسلم في إمامة المصلين في الصلاة، وكان يصحبه وغزا معه في المدينة حتى انتقل تميم إلى الشام أثناء خلافة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وكان يكنى بأبي رقية.

ابن سعد، محمد بن سعد الزهري (ت ٢٣٠هـ/٨٤٥م) طبقات ابن سعد الكبرى، بيروت، دار صادر، ب.ن، ج ١، ص ٢٣٤، ٢٤٩، ٢٦٧، ج ٢ ص ٢٥٥، ج ٥، ص ٢٦؛ المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م)، ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري، تحقيق محمد أحمد عاشور، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م، ص ٣٥، ٣٧، ٥٣، ٧٠؛ القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، طبع المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩١٤م، ج ١٣، ص ١١٨ - ١٢٣.

(٣) ياقوت الحموي، شهاب الدين بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان بيروت، دار صادر، ج ٢، ص ٣٨٧؛ البغدادي صفي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٣٧٢هـ/١٩٠٤م، ج ١، ص ٤٨٠.

(٤) سورة الأنعام، (١٦٢-١٦٣).

- (٥) الدباغ، مصطفى مراد: بلادنا فلسطين، ج٥، ق٢، الطبعة الأولى دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، ص ص: ٣٨-٥.
- (٦) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٥، ق٢، ص٣٩.
- (٧) معركة أجنادين: تعد من المعارك الحاسمة التي قررت مصير فلسطين إبان الفتح الإسلامي للشام، وقد تمكن المسلمون من الانتصار على الروم في هذه المعركة سنة ١٣هـ. البلازري، الإمام أبو الحسن (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢)، فتوح البلدان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ص ص: ١٢٠-١٢٢.
- (٨) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٥، ق٢، ص ٢٩.
- (٩) السيد، على أحمد محمد: الخليل والحرم الإبراهيمي عصر الحروب الصليبية ١٠٩٩-١١٨٧م/٤٩٢-٥٨٣هـ، القاهرة، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ص٤٩.
- (١٠) التميمي، محمد أبشرلي محمد داود: أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، منظمة المؤتمر الإسلامي، استانبول، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ص ب من المقدمة.
- (١١) جبرون: سقيفة مستطيلة، على عمد وسقايف، حولها مدينة تطيف بها، وهي بدمشق، وقيل جبرون قرية الجبابرة في أرض كنعان.
- البغداد، مرصد الاطلاع، ج١، ص ٣٦٦؛ أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت ١٨٢هـ/٧٩٨م)، كتاب الخراج، القاهرة، المطبعة السلفية، الطبعة الرابعة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م ص ٢٣٤، حاشية رقم ١.
- (١٢) بيت عينون أو عين عينون جاءت الروايات بالصيغ الثلاث ويقع هذا المكان بجوار قرية الشيوخ من فضاء الخليل، وذكر علماء الآثار أنها كانت تقوم على موقع مدينة بيت عينون بمعنى بيت الألهة.
- شراب، محمد محمد حسن، معجم بلدان فلسطين، الطبعة الثانية، لبنان، الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م، ص ١٦٥.
- (١٣) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ص: ٣٤-٣٥.
- (١٤) كتاب الأموال، تحقيق وتعليق خليل محمد هراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ص ص: ٣٤٧-٣٥٠.
- (١٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ١، ص ٢٦٧.
- (١٦) مجير الدين الحنبلي، عبدالرحمن بن محمد (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م)، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، عمان، الأردن، مكتبة المحتسب، ١٩٧٣م، ج ٢، ص ص: ٨١-٨٢؛ شراب، تميم بن أوس الداري، ص ١٣٦.

- (١٧) السيد على أحمد: الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ص: ٢٦١-٢٦٢.
- (١٨) ابن هشام، عبد الملك ت ٣١٨هـ/٩٣٠م، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، مصر، مطبعة الباري الحلبي، ١٩٥٧م، ج ٢، ص ٣١٩ وما بعدها؛ ابن سعد، محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ج ١، ص ٢١٨؛ باعمر، محمد سالم، رحلة في ظلال السيرة النبوية، جدة، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م، ط ١، ص ص: ٩٥-٩٦.
- (١٩) معاهدة الرملة: نصت تلك المعاهدة على أن يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من صور إلى يافا بما فيها قيسارية وحيفا وأرسوف، وما عدا ذلك بما فيه بيت المقدس يظل بيد المسلمين.
- ابن شداد، بهاء الدين ت ٦٣٢هـ، كتاب سيرة صلاح الدين الأيوبي المسماة بالانوار السلطانية والمحاسن اليوسفية، بيروت، دار الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٣٠٤.
- (٢٠) ابن الجوزي، أبو محمد يوسف سبط (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حيدر آباد الدكن، ١٩٥١م، ج ٢، ص ٤٣٢.
- (٢١) السيد، على أحمد: الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٢٥٣؛ دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثامن، مادة الخليل، ص ٤٣٢.
- (٢٢) معركة عكا: تعد معركة عكا من المعارك التاريخية الحاسمة بين المسلمين والصليبيين، وانتصر فيها المسلمون، وتم طرد الفرنج من بلاد الشام، وعكا: اسم لبلد على ساحل بحر الشام، من عمل الأردن، وكانت قديماً في غاية الحصانة والمناعة.
- ابن تغري بردي، جمال الدين أبوالمحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م، ج ٨، ص ص: ٦-٧؛ ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) تنمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوري، بيروت، دار المعرفة، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، ج ٢، ص ص: ٣٣٦-٣٣٨.
- (٢٣) علي السيد علي: القدس في العصر المملوكي، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ص: ٥-١٥.
- (٢٤) السيد، على أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ص: ٢٥١-٢٥٣.
- (٢٥) ابن تغري بردي، ج ٧، ص ٨٣؛ قاسم عبده قاسم: دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي، دار المعارف، ١٩٧٩م، ص ص: ١٧١-١٧٢؛ دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثامن، مادة الخليل، ص ٤٣٢.
- (٢٦) الدباغ، بلادنا فلسطين، ص ٤٨.
- (٢٧) الدباغ، بلادنا فلسطين، ص ص: ٥-٣٨.

- (٢٨) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٥ ق ٢، ص ٤٨.
- (٢٩) السيد علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٥٩.
- (٣٠) السيد علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٥٩.
- (٣١) حَبْرُون: اسم القرية التي بها قبر إبراهيم عليه السلام، قرية ببيت المقدس، وغلب على اسمها الخليل، ويقال حبرى، ويروى أن البناء الذي عليه من بناء سليمان بن داود عليه السلام.
- البغدادى، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٣٧٦.
- (٣٢) المرطوم: تقع بالقرب من مدينة الخليل عليه السلام من جهة الشمال، المرطوم هو ما يسمى رامة الخليل الواقعة في شمال الخليل على بعد ميل ونصف ويذكر في الأخبار أن إبراهيم عليه السلام أقام في هذه البقعة مرات وفيها بشرت الملائكة سارة بمولودها إسحاق.
- شراب، محمد محمد حسن، تميم بن أوس الداري - رضي الله عنه - راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين، دمشق، دار العلم، ص ١٦٦.
- (٣٣) بيت إبراهيم: هو المغارة التي دفنت فيها سارة زوجة إبراهيم الخليل ومن بعدها إبراهيم، وقيل أن يعقوب ويوسف عليهما السلام قد نقلتا من مصر ودفنا بها، وقد نزل إبراهيم هذا المكان سنة ٨٠٥ قبل الميلاد، وأصبح منزلاً له ثم موطنًا، ويمكن القول أن حبرون وبيت إبراهيم شيء واحد، وهو مدينة الخليل وما يحيط بها من الأرض.
- شراب، تميم بن أوس الداري، ص ص: ١٦٤-١٦٥.
- (٣٤) شراب، معجم بلدان فلسطين، ص ٣٤٥.
- (٣٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج ٢، ص ٧٥، ج ٧، ص ١٢٩.
- (٣٦) البلازري، فتوح البلدان، ص ١٢٩.
- (٣٧) ناصري خسرو (١٠٨٨/هـ)، سفر نامة، ص ٥٣.
- (٣٨) السيد علي أحمد الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٦١.
- (٣٩) السيد علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٦١.
- (٤٠) ابن الفقيه، أبوبكر أحمد بن إبراهيم الهمداني ت ٣٤٠هـ/٩٥١م، مختصر كتاب البلدان، طبعة ليدن، ١٣٠٢هـ، ص ١٠١؛ ناصري خسرو، سفر نامة، ص ص: ٣٢-٣٦؛ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين بن أبي العباس أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، دولة المماليك الأولى، دراسة وتحقيق دوروتياكرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ١٩٨٦م، ص ٢١١.
- (٤١) بيت جبرين: بلدة بين بيت المقدس وغزة.

- البغدادى، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٢٣٧.
- (٤٢) مجير الدين، الأنس الجليل، ج ٢، ص ٨٤؛ السيد علي، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٦٢.
- (٤٣) السيد علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٦٢؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٥، ص ٢، ص ٤٧.
- (٤٤) أحمد رمضان أحمد، بحث مستخرج من أعمال ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، المجلد الأول، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢، ص ص: ٦١-٦٧؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٥، ص ٢، ص ٤٧؛ السيد علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٧١.
- (٤٥) المقدسي، شهاب الدين أبو محمود بن تميم (ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م) مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الحطيمي، بيروت، دار الجيل، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ١٧٢؛ ناصري خسرو، سفر نامه، ص ٣٣.
- (٤٦) السمرة محمود، عبدالرحمن أسعد، العبدى محمود، فلسطين أرضاً وشعباً وقضية، مصر، جامعة الدول العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص ١٠٤؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٥، القسم ٢، ص ص: ٥-٣٩.
- (٤٧) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٥٥، ٥٩.
- (٤٨) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٥ القسم ٢، ص ٥٢؛ و، ص ٨٤.
- (٤٩) بطرس عبدالملك وآخرون، قاموس الكتاب المقدس، مادة مكفلية.
- (٥٠) المقدسي، مثير الغرام، ص ١٧٢؛ ناصري خسرو، سفر نامه، ص ٣٣؛ السيد علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٨٤.
- (٥١) ناصري خسرو، سفر نامه، ص ص: ٣٣-٣٤.
- (٥٢) ابن منظور، عبدالله العلايلي (٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب المحيط، دار لسان العرب، المجلد ٢، ص ص: ٣٠٢-٣٠٣؛ المعجم الوسيط، ص ٤٤٨-٤٤٩؛ معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر العربية، مكتبة الشروق العربية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ط ٤، ص ٤٤٩.
- (٥٣) سورة الذاريات الآيات (٢٤-٢٧).
- (٥٤) الأمام أبي بكر أحمد بن الحسين (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) شعب الإيمان، تحقيق أبي هاجر محمد السعيد بن بيسوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، الجزء الأول.
- (٥٥) البيهقي، شعب الإيمان، الجزء الأول.
- (٥٦) مجير الدين، الأنس الجليل، ج ١، ص ص: ٤٦-٥١.

(٥٧) مجير الدين، الأنس الجليل، ص ص: ٦٢-٦٣؛ السمرة محمود، فلسطين أرضاً وشعباً وقضية، ص ١٠٧.

(٥٨) السيد علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٢٨٨.

(٥٩) الدشيش أو الدشيشة: كان بجوار المسجد الجاولي من جهة القبلة المطبخ الذي تعمل فيه الدشيشة للمجاورين والواردين، والدشيشة طعام مؤلف من القمح المسلوق يجرش ويدشش ويطح ويوزع على الفقراء.

مجير الدين، الأنس الجليل، ج ١، ص ص: ٦٢-٦٣؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٥، ق ٢، ص ١١٣؛ مجلة الحجاز، العدد ٨٩، تاريخ ١٥/١٢/٢٠١٠م.

(٦٠) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص ١١٠؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٥، ق ٢، ص ١١٣.

(٦١) السيد علي أحمد، المرجع السابق، ص ٢٨٨.

Mushullam Ben R. Menahem of Volterra Ltinrary of Rabbi Mushullam Ben R. Menahem of Volterra 1481, in; J.T., P. 186

(٦٢) السيد علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٢٨٨.

(٦٣) البخيت، محمد عدنان، لواء القدس، دفتر تحرير ١٣١ T.D، ص ص: ١٠١-١١٠.

(٦٤) الغزي، نجم الدين محمد بن بدر الدين محمد بن رضي الدين محمد الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، الجزء الأول، حققه وضبط نصه جبرائيل سليمان جبور، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٧٦، ج ٣، ص ١١٨.

(٦٥) محمد بن عبدالله (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة، دار صادر، بيروت، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص ص: ٥٥-٥٦.

(٦٦) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج ١، ص ٦٢، السيد علي أحمد، الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ١١٦.

(٦٧) العلا: بضم العين وفتح اللام بلدة ذات إمارة من إمارات المدينة ملحق بها قرى.

الjasر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، الرياض، دار اليمامة، القسم الثاني، ص ٩٩٥.

(٦٨) تبوك: قرية بين وادي القرى والشام كما جاء في كتاب مراصد الاطلاع للبغدادي، وهي الآن مدينة سعودية في أقصى شمال المملكة، تعرف ببوابة الشمال، بها مطار لاستقبال الطائرات الداخلية، وهي تقع على الطريق الرئيسي القادم من الأردن إلى المدينة المنورة.

البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٢٥٣؛ شريل، كمال محمد ريس، الموسوعة الجغرافية للوطن العربي، بيروت، دار الجيل، ط ١، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، ص ١٢١.

(٦٩) رحلة ابن بطوطة، ص ص: ٦٥٣-٦٥٥، ٥٥.

- (٧٠) شهاب الدين أبي محمد عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف المقدسي الدمشقي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م) تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، دار الجبل، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م، ص ١٥١.
- (٧١) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ١، ص ص: ٦٢-٦٣، الخليلي، تاريخ القدس والخليل، ص ص: ١٥٣-١٥٤؛ مايكل دمير: سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين ١٩٤٨-١٩٨٨م، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٩٢، ص ص: ٢٩-٦٣.
- (٧٢) الخليلي، تاريخ القدس والخليل، ص ١٤٦.
- (٧٣) هنتس، فالتر: المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، الطبعة الثانية، عمان، ١٩٧٠م، ص ١٩.
- (٧٤) أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٧٨، ٢٨٠؛ والسبكي، في طبقات الشافعية، ج ٢، ص ١٤١؛ الخليلي: تاريخ القدس والخليل، ص ١٤٧.
- (٧٥) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج ١، ص ص: ٦٢-٦٣.
- (٧٦) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج ١، ص ص: ٦٢-٦٣.
- (٧٧) "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، طبع ليدن المحروسة، بمطبعة بريل، ١٩٠٦، ص ص: ١٧٢-١٧٣.
- (٧٨) معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٨٧.
- (٧٩) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج ١، ص ١١٠.
- (٨٠) عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) كتاب تقويم البلدان، تحقيق ماك كوين ديسلان، باريس، ١٨٤٠م، ص ٢٤١، وهذا ما سبق أن أشار إليه ناصر خسرو عندما قال: "الزيتون كثير"، ص ٧٣.
- (٨١) "تقي الدين أبو بكر ت ٨٣٧هـ/ ١٤٤١م": ثمرات الأوراق، صححه وعلق عليه محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، ص ص: ٣٦٣-٣٦٤.
- (٨٢) حلحول: قرية بين بيت المقدس، وقبر الخليل عليه السلام.
- البغدادى، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٤١٨.
- (٨٣) كفر بريك: تبعد ثمان كيلومترات شرق الخليل، وهي تميل بعض الشيء ناحية الجنوب ومعروفة الآن بقرية بني نعيم، نسبة لأحد أفخاذ إحدى القبائل العربية، ويعتقد أن اسم كفر بريك الذي أطلقه الرحالة المسلمون على القرية مأخوذ من اسم الوادي المسمى بوادي البركات وقد ذكر هذه القرية الرحالة الهروي بقوله: "كفر بريك قرية بها قبر لوط عليه السلام".

- الهروي، أبو الحسن علي بن أبي بكر ت ٦١١ هـ / ١٢١٤ م، الإشارات إلى معرفة الزيارات، نشر سريبل، دمشق، ١٩٥٣ م، ص ٢٩.
- (٨٤) ياقين: من قرى بيت المقدس، بها قبر مقام مشهور للوط عليه السلام. البغدادي، مراصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٤٧٢.
- (٨٥) الظاهر عبدالباسط غرس الدين خليل، كتاب زبدة كشف الممالك، طبع في باريس، ١٨٩٤ م، ص ٢٤.
- (٨٦) الأنس الجليل، ج ١، ص ص: ٦٢-٦٣.
- (٨٧) تاريخ القدس والخليل، ص ١٥٣. ومن الملاحظ أنه يذكر أنه كان يفرق فيه كل يوم ثلاث غراير وثلاث، وقد حدد الخليلي الغرارة الخليلية بأحمال الجمال الخمسين حملاً تقريباً، انظر: تاريخ القدس والخليل، ص ١٦.
- (٨٨) سياسة إسرائيل، ص ٢٩.
- (٨٩) المقرئزي، "تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م)، كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول، ق ٢٠، طبع القاهرة، ١٩٤٢-١٩٧١ م، ج ١، ق ٢ السلوك، ص ٤٤٥، ٥٠٥، ٥٦٣؛ السيد علي أحمد: الخليل والحرم الإبراهيمي، ص ٢٨٨.
- (٩٠) ابن كثير أبو الفداء (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)، البداية والنهاية، ج ١٣، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٨٠ م، ص ص: ٣٣٧-٣٣٨؛ مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ص: ٢٧٠-٢٧١؛ مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج ٢، ص ص: ٢٧٠-٢٧١.
- (٩١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ١٩٤.
- (٩٢) بيمارستان: تطلق بيمارستان على بيت المرضى، وخففت إلى مارستان، وهي كلمة فارسية تتكون من لفظين: (بیمار) بمعنى مريض، و(سیتان) تعني المكان أو دار، فهي إذن دار المرضى.
- بك، أحمد عيسى، تاريخ المارستان في الإسلام، بيروت، الرائد العربي، ط ٥، ص ٤.
- (٩٣) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج ٢، ص ص: ٧٩، ٨٨-٨٩.
- (٩٤) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ص: ٩٠-٩٣، ١٦١؛ العارف: تاريخ القدس، دار المعارف بمصر، ١٩٥١ م، ص ٢٩٩.
- (٩٥) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ص: ٨٨-٨٩.
- (٩٦) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٦٢.
- (٩٧) لمزيد من المعلومات: كتاب المسجد الإبراهيمي الصادر عن قسم إحياء التراث الإسلامي في دائرة الأوقاف والشئون الإسلامية، القدس، ١٩٨٥ م، ص ص: ١٤٩-١٧١.



- (٩٨) الرطل المصري: معيار يوزن به، أو يكال يختلف باختلاف البلاد وهو رطل عربي قديم كان المصريون يتعاملون به قبل الإسلام، وظل متداولاً حتى سنة ١٩٦١م، وكانت صنجته تعادل رسمياً في مصر ١٤٤ درهماً مصرياً، أو ٤٤٩،٢٨ جراماً.
- المعجم الوسيط، إخراج إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبدالقادر - محمد النجار، ج ١ و ٢، المكتبة الإسلامية، اسطنبول - تركيا، باب الرءاء، ص ٣٥٢.
- (٩٩) وثيقة الوقف رقم ٤١؛ مصطفى عبد الغني: الأوقاف على القدس، الهيئة المصرية العامة، ٢٠٠٧، ص ٣٢٧.
- (١٠٠) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ص: ١٦٥-١٦٦؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٩، ص ٥٢٦.
- (١٠١) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ص: ٩٤-١٦٥، ١٦٦، ٢٠٨-٢٠٩.
- (١٠٢) دائرة المعارف الإسلامية، ج ٨، ص ٤٣٣.
- (١٠٣) المقرئزي: السلوك، ج ٤، ق ١، ص ١٠٨؛ مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٦٧.
- (١٠٤) العسلي، كامل جميل: وثائق مقدسية تاريخية، المجلد الثالث، عمان، ١٩٨٩م، ص ص: ١٨٩-١٩٠.
- (١٠٥) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ٢، ص ص: ١٦٩-١٧٠، أبو رميلة، صلاح موسى التميمي، المسجد الإبراهيمي، قسم إحياء التراث الإسلامي، القدس، ١٩٨٥م، ص ص: ١٦٠-١٦١؛ العارف، تاريخ القدس، ص ٢٩٦.
- (١٠٦) غرارة: جمعها غرائر، هو كيس من الخيش ونحوه توضع فيه الحبوب حوالق يكون فيها القديد والكفل، وفي النص الغرارة: كيل كانوا يتعاملون به إلى عهد قريب وهو يعادل ثمانين مداً.
- المعجم، اللغة العربية المعاصرة.
- (١٠٧) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج ٢، ص ١٧٣.
- (١٠٨) مجير الدين الحنبلي: الأنس الجليل، ج ٢، ص ص: ١٧٣-١٧٤.
- (١٠٩) التميمي، أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، ص ٢٠.
- (١١٠) بيت لحم: بلدة قرب بيت المقدس، المشهور أن عيسى عليه السلام ولد بها. البغدادى، مرصد الاطلاع، ج ١، ص ٢٣٨.

- (١١١) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج٢، ص ص: ١٠٤-١٠٥.
- (١١٢) ابن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ص ١٣٩.
- (١١٣) طرابلس: وهي طرابلس الشام، أو طرابلس الشرق، وتقع على الساحل اشرقي للبحر المتوسط، بين اللاذقية وعكا، وترتبط المدن الساحلية بمدن سوريا الداخلية.
- البغدادى، مرصد الاطلاع، ص ٨٨٢.
- (١١٤) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج٤، ص ص: ١٨٠-١٨١؛ على السيد على: القدس، ص ص: ٣٣-٣٤.
- (١١٥) القلقشندي، أحمد بن علي (٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، دار الكتب العلمية، ج٧، ص ١٧٠؛ ج١٢، ص ١٠٥.
- (١١٦) القلقشندي، صبح الأعشى: ج٧، ص ١٧٠؛ ج١٢، ص ١٠٥؛ ابن حجر العسقلاني، "شهاب الدين أحمد بن علي (ت ٨٢٥هـ / ١٤٢١م)، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة، ١٩٦٩-١٩٧١م، ج١، ص ١٠٧.
- (١١٧) القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ص: ٣٩٢-٣٩٣؛ على السيد علي: القدس في العصر المملوكي، ص ص: ٣٣-٣٥.
- (١١٨) السلوك، ج٣، ق. ٢، ص ٧٦٢، ج٤، ق. ٢، ص ١١٩٢.
- (١١٩) المقرئزي، السلوك، ج٣، ق. ١، ص ٤٤٨.
- (١٢٠) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٤، ص ص: ٣٩٢-٣٩٣.
- (١٢١) ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف، طبع بمطبعة العاصمة بمصر، سنة ١٣١٢هـ، ص ١٩٧؛ ابن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، ص ص: ١١٦-١١٩.
- (١٢٢) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، ج١، ص ٤٢؛ ابن فضل الله العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ص: ١٨٤-١٩٦، القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص ص: ٣٧٢-٣٨٨.
- (١٢٣) البخيت، لواء القدس الشريف من دفتر تحرير ١٠١٥، عمان، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨، ص ٢١، ٢٢، ٣٨، ٥٨، ٥٩-٦١، ص ١٣٨.
- (١٢٤) الخليلي، تاريخ القدس والخليل، ص ١٥٦، ١٥٨-١٦٦.

- (١٢٥) أمين، محمد، محمد: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ص: ٧٨-٩٨.
- (١٢٦) التميمي، أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين حسب الدفتر رقم ٥٢٢ من دفاتر التحرير العثمانية، ص ص: ٤، ٥، ٦٠-٨٩.
- (١٢٧) التميمي، أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، ص ص: ٥، ١٥، ٢٠.
- (١٢٨) التميمي، أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، ص ص: ٨، ٤٢، ٤٣، ٧٤.
- (١٢٨) البخيت، لواء القدس الشريف، ص ٢٧٧.
- (١٣٠) التميمي، أوقاف وأملاك المسلمين في فلسطين، ص ٤٢.
- (١٣١) البخيت، لواء القدس، ص ٦٨.
- (١٣٢) البخيت، لواء القدس، ص ص: ١٠٠-١٠٥.
- (١٣٣) البخيت، لواء القدس، ص ص: ١٠١-١٠٥.
- (١٣٤) الخليلي، تاريخ القدس والخليل، ص ٢٨٧-٢٨٨، هامش رقم ٣٤٥، وهامش رقم ٣٤٦.
- (١٣٥) الأنس الجليل، ج ١، ص ٦٣.
- (١٣٦) مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ج ١، ص ٦٤.
- (١٣٧) العسلي، وثائق مقدسية تاريخية، ج ١، ص ٢٥٨.
- (١٣٨) العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، ص ص: ١٥-١٧.

## Opened Handiness and Hospitality of Khalil AlRahman in Mamluks Age

**Mohammad Salim Bakr BaAmir**

*Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University  
Jeddah, Saudi Arabia*

*Abstract.* City of Jerusalem specializes in the history as a Arabic Indignation city, dating back to ancient times, linked with the three monotheistic religions, and it is a city of the Apostles, Prophets gathering and Religions congregation. it is in the Holy Land which God bless them, Al-Haram Al-Ibrahimi is the fourth Holy Mosque after , Al-haram Al-Makki , Al-Haram Al-Nabawi ,Al-Haram al-Sharif and Al-Haram Al-Ibrahimi.

And the city of Hebron, an ancient in the Islamic nature. postcard beaches of humans and settled the first Muslim Ibrahim, peace be upon him, and this was confirmed by Allah in his holy book:

﴿قُلْ إِن صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ  
أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾

Al-Haram Al-Ibrahimi is the holiest Islamic mosques. the visitors pulled them after the performance of AlHajj after their visit to the Al-Haram al-Sharif since about 3000 years BC, this hostel Home, (Alkhalil homes), the Canaanites, and most of them attributed the country's cities and villages of the friend of God - peace be upon him.

This study addresses the opened handiness and hospitality of Khalil Al-Rahman in the Mamluks age 648-923 AH / 1250 to 1517 specified as a term the food cooked and distributed to neighbors and contained, and is known in the tenth century AH, the sixth century The Ibrahim sop.

The Scalding in the language opened- handiness realizes people: their side, and said: The people around the sultan himself of any two rows, each row of men. One of the reasons for choosing this study is to highlight the role of the Mamluks Sultans in the first and the second revival of the generosity system , and interest in and spotted a large part of their wealth in the care of the Al-Khalil city and its holy sites.

As well as the desire to refute Israeli claims that were not in the day an Arab, and will not be, as well as the free library of Arab scientific work for an integrated and specialized assets generosity of Al-khalilAl-Rahman.